٢٥

قاعدة
في فنون التواصل مع الآخرين

محمد حامد

دار المحرر الأدبي
www.elmohrereladbe.com

obeikandl.com

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد...

الإنسان اجتماعي بطبعه ، يحب تكوين العلاقات وبناء الصداقات . والفطرة السليمة تمج الانعزال التام ، وتستهجن الانطواء ، وترفض الانقطاع عن الآخرين . والملاحظ أن الفرد مهما كان انطوائياً فإنه يسعى لتكوين علاقات مع الآخرين وإن كانت محدودة ، ويصعب ، بل ربما يستحيل ، عليه الانكفاء على الذات والاستغناء عن الآخرين . ولقد أشارت بعض الدراسات إلى أن المدير يقضي ٨٠% من وقته في الاتصال والتعامل مع الآخرين .[١]

إن الله تعالى قرر مبدأ التعامل بين الناس ، وجعله ضرورة بشرية وسنة كونية ، بل بيّن في كتابه الكريم أن من أسرار خلق الإنسان وتصنيف البشر إلى أمم وشعوب هو أن يتحقق الاتصال والتعارف بينهم ، لذا قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) الحجرات /١٣ .

---

[١] أسماء السيد إبراهيم ، الاتصالات الإدارية ، ورقة عمل مقدمة لبرنامج مهارات الإشراف والمتابعة الفعالة ، معهد التنمية الإدارية . دبي ، ١٠ نوفمبر ١٩٩١ ، ص٢ .

إن العلاقة التي تربط الناس بعضهم ببعض لا تقوم على رابطة الدم فحسب ، بل إن هناك روابط أخرى تجمع الناس وتؤلف بينهم وترفع من مستوى وحجم تعاملهم ، فهناك (مثلاً) رابطة الفكرة والمبدأ ، ورابطة العمل والوظيفة ، ورابطة الصداقة والصحبة ، ورابطة الجنس والعرق ، والرابطة التجارية والاقتصادية....إلخ .

وتعتبر رابطة العقيدة هي أجلّ واسمى هذه الروابط ، بل ى نبالغ إذا قلنا أنها تفوق رابطة الدم والنسب ، لذا يقول الشاعر:

إن يختلف ماء الغمام فماؤنا عذب تحدر من غمامٍ واحدٍ
أو يفترق نسب يؤلف بيننا دين أقمناه مقام الوالدِ

ويقول أبو تمام :

ولقد سبرت الناس ثم خبرتهم وبلوت ما وصفوا من الأسباب
فإذا القرابة لا تقرّب قاطعاً وإذا المودة أقرب الأنساب

إن التعامل مع الآخرين مهارة لا يحسنها كثير من الناس ، فرب كلمة طائشة تخرج من الفم تفسد صفاء العلاقة بين أخوين متحابين ، وربما يصل الحال إلى أكبر من ذلك بكثير .

لذا ينبغي أن يكون الإنسان على حذر ويقظة دائمتين عند تعامله مع الآخرين ، وإلا فربما يقع في ما لا يحمد عقباه .

إن هذا الموضوع من أكبر الموضوعات أهمية وصعوبة في نفس الوقت لأنه يتعامل مع هذا الكائن البشري المعقد .

ولقد حاولت في هذه الدراسة المتواضعة أن أتناول بعض الفنون والأساليب والقواعد التي ينبغي للإنسان أن ينتبه لها كي يستطيع أن يكسب مودة الآخرين ، ويقي نفسه مصارع السوء الناتجة عن التعامل غير الموفق مع الناس .

ولا أزعم أنني أتيت بما لم يأت به الأولون ، كما لا أزعم أن هذه الدراسة هي دراسة جامعة مانعة ، ولكنها محاولة أرجو أن تكون موفقة ، وأن ينفع بها كل من اطلع عليها .

المؤلف

obeikandl.com

اصبر لكل مصيبة وتجلد

عندما يتعامل الإنسان مع الناس فإنه يتعرض إلى العديد من العقبات و المشكلات ، فقد يتعرض إلى كلمة جارحة ، أو مكيدة ماكرة ، أو فظاظة منفِّرة ، وربما يتعرض إلى إيذاء شديد أو ابتلاء طويل في ماله أو دينه أو عرضه أو بدنه . لذا ينبغي أن يتحلى المرء بالصبر الجميل ، ويحتسب كل ذلك عند الله تعالى ، ويكثر من الاستعانة به على مصائب الدهر.

والابتلاء سنة ماضية إلى يوم القيامة ، لذا يقول الله تعالى : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) محمد/ ٣١

ويقول الله تعالى :(وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) آل عمران /١٨٦

ويقول الله تعالى : (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) البقرة/ ٤٥

ويقول الله تعالى : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) الكهف /٢٨

ويقول الله ويقول الله تعالى : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) البقرة/١٥٥-١٥٧ .

وعن أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : عجبا لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن إصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له." رواه مسلم .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يُبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتُلى على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة." رواه أحمد والترمذي .

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " وجدنا خير عيشنا بالصبر ." وقال أيضا " : أفضل عيش أدركناه بالصبر ، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريماً."

و قال على بن أبي طالب رضي الله عنه : ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قطع الرأس بار الجسد ، ثم

رفع صوته فقال : ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر" له ."وقال أيضا " : الصبر مطية لا تكبو."

وقال الحسن : الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده."

وقال عمر بن عبد العزيز " : ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه ، فعاضه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيرا مما انتزعه."

وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل وقت ينظر فيها ، وكان فيها " : واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا."

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنننه " : لو كان الصبر و الكر بعيرين لم أبال أيهما ركبت."

وقال يونس بن زيد : سألت ربيعة بن أبي عبد الرحمن : ما منتهى الصبر ؟ قال " : أن يكون يوم تصيبه المصيبة مثله قبل أن تصيبه."[٢]

ويقول أبو العتاهية:

اصبر لكل مصيبة وتجلدِ واعلم بأن المرء غير مخلد
أو ما ترى أن المصائب جمة وترى المنية للعباد بمرصد
ومن لم يُصب ممن ترى بمصيبة هذا سبيل لست فيه بأوحد

[٢] ابن القيم الجوزية ، عدة الصابرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، غير محدد سنة الطبع ، ص٩٦-٩٨

فـإذا ذكــرت محمدًا ومصابه فاذكر مصابك بالنبي محمد[٣]

ويقول الشاعر:

فلا تجزع لريب الدهر واصبر فإن الصبر في العقبى سليم
فما جزع بمغن عنك شيئًا ولا مات فات ترجعه الهموم
إذا ضاقت بك الأيام قهرًا فدم صبرًا فضر لا يدوم
فبالصبر الجميل تنال أجرًا وتقضي بعد ذلك ما تروم
فكم من محنة عظمت ودامت وخان مواصل وجفا حميم
أتى فـرج الإلــه لها صباحًا فما أمسى الهموم ولا الغموم

وقال أبو حاتم:

إذا اشتملت على البؤس القلوب وضاقت بما به الصدر الرحيب
وأوطـنت المكاره واطمـأنت وأرســت في مكانهـا الخطوب
ولم تر لانكشـاف الضـر وجهًا ولا أغــنى بحيــلته الأريـب
أتـاك على قنــوط منك غوث يـمن به اللطيــف المستجيب

ويقول الشاعر:

وإذا عـرتك بليـة فاصبر لها صـبر الكريم فإنـه بـك أعلم
وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

ويقول آخر:

وإذا بليت بعسرة فاصبر لها صـبر الكـرام فـإن ذلك أحزم

---

[٣] أحمد المحاميد ، الحب بين العبد والرب ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، دمشق ، ١٩٨٥ ، ص٦٣ .

لا تشكون إلى العباد ، فإنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

ويقول الشافعي:

دع الأيام تفعل ما تشاء وطب نفسا إذا حكم القضاء
ولا تجزع لحادثة الليالي فما لحوادث الدنيا بقاء
وكن رجلا على الأهوال جلدا وشيمتك السماحة و السخاء
يغطي بالسماحة كل عيب وكم عيب يغطيه السخاء
ولا حزن يدوم ولا سرور ولا عسر عليك ولا رخاء
ولا ترى الأعادي قط ذلا فإن شماتة الأعدا بلاء
ولا ترجو السماحة من بخيل فما في النار للظمآن ماء
ورزقك ليس ينقصه التأني وليس يزيد في الرزق العناء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع فأنت و مالك الدنيا سواء
ومن نزلت بساحته المنايا فلا أرض الله واسعة ولكن
وأرض الله واسعة ولكن إذا نزل القضا ضاق الفضاء

وقال آخر:

عسى الهم الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويغاث عان ويأتي أهله النائي الغريب

٢

فبما رحمة من الله لنت لهم

نقصد بهذه القاعدة تغليب التعامل الإيجابي على التعامل السلبي ، والرحمة على الشدة ، والقرارات التي تجلب المنفعة و الخير للآخرين على القرارات التي فيها مضرتهم وإيقاع الشر بهم.

إن بعض الناس يميلون إلى الفظاظة و الرفض و الشدة و القسوة وربما الإضرار بالآخرين من أجل أن يثبتوا وجودهم وهيمنتهم وسلطانهم فيخافهم الناس ويذلوا بين أيديهم ، ولا شك أن هذا مرض نفسي ابتلى به بعض المسؤولين.

إن هذ السلوك يؤدي إلى نفرة المرؤوس من رئيسه وبغضه له ، وعدم الرغبة و الحماسة في تنفيذ قرارته أو إخلاص النصيحة له ، ولهذا يقول الله تعالى " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ." آل عمران /١٥٩

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم " : إن الرفق لا يكون في شيء إلا شانه " وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " : من يحرم الرفق يحرم الخير كله."[٤]

ويقول حماد بن مسلمة : مر رجل أسبل إزاره(إشارة إلى التكبر) على صلة بن أيم ، فهم أصحابه أن يأخذوه بشدة فقال : دعوني أنا أكفيكم ، ثم قال للرجل : يا ابن أخي إن لي إليك حاجة ، فقال الرجل : وما حاجتك يا عم ؟ قال :أحب أن ترفع إزارك ، فقال :نعم ، حبا و كرامة ، فرفع إزاره ، فقال صلة لأصحابه لو قرعتموه لقال : لا ، ولا كرامة ، وشتمكم.[٥]

و قال محمد بن زكريا الغلابي : هدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله ، وإذا غلام من قريش سكران قد قبض على امرأة فجذبها ، فاستغاثت ، فاجتمع الناس يضربونه ، فنظر إليه بن عائشة فعرفه ، فقال للناس : تنحوا عن ابن أخي ، ثم قال : إلى يا ابن أخي ، فاستحي الغلام فجاء إليه فضمه إليه ثم قال له : امض معي ، فمضي معه حتى صار إلى منزله فأدخله الدار ، فقال لبعض غلمانه : بيته عندك فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه ولا تتركه ينصرف

---

[٤] رواه مسلم

[٥] جمعة أمين ، الدعوة قواعد وأصول ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، غير محدد سنة الطبع ، ص٥٤ .

حتى تأتيني به ، فلما أفاق من سكره أعلمه بما كان منه فاستحي منه وبكي ، وهم بالانصراف فقال الغلام:

قد أمر سيدي أن تأتيه ، فأدخله عليه ، فقال له ابن عائشة : أما استحيت لنفسك ؟ أو ما استحيت لشرفك ؟ أما استحيت من ولدك ؟ فاتق الله وانزع عما أنت فيه ، فبكي الغلام منكسا رأسه ثم رفع رأسه وقال : عاهدت الله عهدا يسألني عنه يوم القيامة أني لا أعود للشرب ، ولا لشيء مما كنت فيه ، وأنا تائب ، فقال ابن عائشة : أدن مني ، فقبل رأسه وقال : أحسنت يا بني ، فكان الغلام بعد ذلك يلزمه و يكتب عنه الحديث ، وكان ذلك ببركة الرفق.

و جاء رقيق (غلام) لأبي ذر وقد كسر رجل شاة فقال له: من كسر رجل هذه ؟ فقال الغلام : أنا فعلته عمدا لأغيظك فتضربني فتأثم ، فقال : أبو ذر : لأغيظن من حرضك على غيظي فأعتقه في سبيل الله.[٦]

وتجدر الإشارة هنا إلى انه قد يضطر الإنسان (أحيانا) أن يتعامل بشدة ، وأن يتخذ القرار الأكبر قسوة و حزما من أجل مصلحة يقدرها ، وهذا الأمر مطلوب (ولكن ليس دائما) .ولذا يقول الشاعر.

فقسا ليزدجروا ومن يك راحمًا فليقس أحيانا على من يرحم

[٦] السابق ص٥٤-٥٥

٣

أمسك عليك هذا

نعم ، امسك عليك هذه الجارحة الخطيرة ، ألا وهي جارحة اللسان ، حيث يقول الله تعالى " مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ " ق /١٨

إن للسان خطورة عظمي ، إذ به يسلم الإنسان في الدنيا و الآخرة و به يعطب ، وبه يقدم و به يؤخر . ولا نبالغ إذا قلنا إن غالبية قواعد التعامل مع الآخرين متعلقة باللسان.

لذا ينبغي للمسلم أن يدرك أهمية اللسان ، وأن يزن الكلمة قبل النطق بها ، وأن يسخر هذا العضو لكسب قلوب الآخرين و التأثير عليهم . وقبل هذا وذلك ينبغي أن يعي أنه محاسب على ما يتفوه به لسانه و مؤاخذ على ذلك عن الله تعالى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " : من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت." [٧]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكبر ما يدخل الناس الجنة ، فقال " : تقوي الله

[٧] رواه البخاري ومسلم

حسن الخلق " وسئل عن أكبر ما يدخل الناس النار ، فقال " : الفم و الفرج[٨]."

وقال عبد الله بن سفيان الثقفي : قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به فقال " : قل ربي الله ثم استقم " قلت : يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي ؟ فأخذ بلسانه وقال " : هذا."

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول " : إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها ، تزل بها قدمه في النار أبعد ما بين المرق و المغرب."

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " : أتدرون ما المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال " : إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة و صيام وزكاة ، يأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطي هذا من حسناته و هذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار."

وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار " : يا أبا يحيى ، حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار و الدرهم."

---

[٨] رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح

وقال الحسن : تكلم قوم عند معاوية رحمه الله ، والأحنف بن قيس ساكت ، فقال له معاوية : ما لك يا أبا بحر لا تتكلم ؟ فقال له "أخي الله إن كذبت ، وأخشاك إن صدقت."

و قال الحسن رضي الله عنه " : من كثر كلامه كثر كذبه ، ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ، ومن ساء خلقه عذب نفسه.

ورأي أبو الدرداء امرأة سليطة اللسان فقال " : لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها."

وروي مالك بن أنس : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأي أبا بكر رضي الله عنه وهو يمد لسانه بيده فقال له : ما تصنع يا خليفة رسول الله ؟ قال" : هذا أوردني الموارد."

وروي كذلك أن امرأة نظرت إلى فرج امرأة ميتة فقذفتها في عرضها ، فلصقت يدها في فرج تلك الميتة ، فما استطاعوا أن ينتزعوها ، فأرسلوا في طلب الإمام ، فجاء فقال للمرأة : ما قلت ، فأنكرت في أول الأمر أنها قالت شيئا ثم اعترفت بما قالت ، فأمر بإقامة الحد عليها ، وحد القذف ثمانين جلدة ، فلما جلدت انتزعت يدها من جسد المرأة.

ويقول الإمام الشافعي:

إذا شئت أن تحيا سليما من الأذى وحظك موفور و عرضك صين

لسانك لا تذكر به عورة امرئ فكلك عورات و للناس ألسن

وعينك إن أبدت إليك مساويا فصنها وقل يا عين للناس أعين

وعاشر بمعروف و سامح من اعتدى وفارق ولكن بالتي هى أحسن

ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

ودع الكذوب فلا يكن لك صاحبا إن الكذوب يسير حرا يصحب
يلقاك يقسم أنه بك واثق وإذا تواري عنك فهو العقرب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك ما يروغ الثعلب

ويقول صالح بن عبد القدوس:

ودع الكذوب فلا يكن لك صاحبا إن الكذوب لبئس خلا يصحب
واحفظ لسانك واحترز من لفظه فالمرء يسلم باللسان و يعطب
وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن ثـرثـارة في كل ناد تخطب

ويقول الشاعر :

تكلم وسدد ما استطعت فإنما كـلامك حي و السـكوت جماد
فإن لم تجد قولا سديدا تقوله فصمتك عن غير السداد سداد

ويقول آخر:

يموت الفتي من عثرة بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل

ومما يروي في أثر الكلمة وخطورتها أن هناك قبيلة تسمى قبيلة " أنف الناقة " و كان أصحابها يخجلون من هذه التسمية و من الانتساب إلى هذه القبيلة ، فذهب أحدهم إلى الحطيئة فأخبره بالأمر ، فقال الحطيئة بيتا واحدا من الشعر جعلت هذه القبيلة ترفع رأسها بين العرب ، حيث قال:

قوم هم الأنف و الأذناب غيرهم فمن يسوي بأنف الناقة الذنبا

٤

العلم مغرس كل فخر فافتخر

العلم صفة رئيسية لكل من يريد قيادة الآخرين و توجيههم و كسب قلوبهم ، فالجهل لا يأتي بخير ، لذا يقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه " : من عمل بغير علم كان ما يفسد أكبر مما يصلح."

ولقد أثنى الله تعالى على العلماء فقال " : يرفع الله الذين امنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجت و الله بما تعملون خبير."

و قال تعالى : (قل هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب).

وبين الرسول صلى الله عليه وسلم فضل العلماء فقال " : فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ، إن الله و ملائكته ، وأهل السماوات و الأرض حتى النملة في جحرها و حتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير."

إن الإنسان يحتاج إلى قدر كبير من المعلومات و الثقافة كي يستطيع قيادة الآخرين ، وربما يضطر إلى تناول بعض الحقائق العلمية أو الوقائع التاريخية أو المستجدات السياسية من أجل فض نزاع أو حل مشكلة أو إقناع مخالف أو إفحام خصم.

إن العقلاء من الناس لا يثقون ولا يقدرون حق التقدير إلا أصحاب العلم ، لذا يقول أبو الأسود " : ليس شيء أعز من العلم ، الملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك."

ويقول الشاعر:

إن الأكابر يحكمون على الورى وعلى الأكابر يحكم العلماء

ويقول الحسن البصري " : موت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اطرد الليل و النهار."

ويقول الشاعر:

تعلم فليس المرء يولد عالما وليس أخو علم كمن هو جاهل
فإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التفت عليه الجحافل
وإن صغير القوم إن كان عالما وليس أخو علم كمن هو جاهل
فإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التفت عليه الجحافل
وإن صغير القوم إن كان عالما كبـــير إذا ردت إلـــيه المحافل

ويقول علي بن أبي طالب:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدي لمن استهدي أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تع حيا به أبدا الناس موتى واهل العلم أحياء

ويقول الشافعي:

رأيت العلم صاحبه كريم ولـــو ولدتـــه آباء لئام
وليس يزال يرفعه إلى أن يعظم أمره القوم الكرام

ويتبعونه في كل حال كراعي الضأن تتبعه السوام
فلولا العلم ما سعدت رجال ولا عرف الحلال ولا الحرام

ويقول إبراهيم بن مسعود الألبيري وهو يعظ ابنه أبا بكر قصيدة طويلة:

أبـا بـكر دعوتـك لو أجبت إلى مـا فيـه حظـك لـو عقلـتا
إلى عـلم تـكون به إماما مطاعـا إن نهيـت وإن أمـرتـا
ويجلو ما بعينك من غشاها ويـهديك الطـريـق إذا ضـللتا
و تـحمل منه في ناديك تاجا ويـكسوك الجمـال إذا عـريتا
ينـالك نفعـه ما دمت حيا ويـبقى ذكـره لـك إن ذهبـتا
هو الغضب المهند ليس ينبو تصـيب بـه مقاتـل من أردتا
و كـنز لا تـخاف عليه لصا خفيف الحمل يوجد حيث كنت
يـزيد بـكثـرة الإنفاق منه و يـنقص إن بـه كـفا شددت
فلو قد ذقت من حلواه طعما لآثـرت التـعلم واجـتهدت
ولم يشغلك عنه هوى مطاعا ولا دنـيا بـزخرفـها فتـنتا
ولا ألهـتاك عنـه أنيق روض ولا دنـيا بـزينـتها كلفـتا
سينطق عنك علمك في ملاء ويـكتـب عنـك يـوما إن كتمتا
و ما يغـنيك تـشييد المباني إذا بـالجهل نفسـك قـد هدمتا
يـزيـد بـكثـرة الإنـفاق منه وينـقص إن بـه كـفا شـددت
فلو قد ذقت من حلواه طعما لأثـرت التـعلم واجـتهدت
ولم يشغلك عنه هوى مطاعا ولا دنـيا بـزخـرفـها فـتنـتا

ولا ألهـــاك عنـــه أنـيق روض ولا دنـــيا بـــزيـــنتها كلـــفتا
سينطق عنك علمك في ملاء ويـكتـب عـنك يوما إن كتمتا
وما يـــغنيك تشيـــيد المبـــاني إذا بـــالجهل نفسك قد هدمتا
جعلت المال فوق العلم جهلا لـــعمرك في القـــضية ما عدلتا
و بيـــنهما بنـــص الـوحي بون ستـــعلمه إذا طـــه قـرأتا
لئـــن رفـــع الغنـــى لـــواء مال لأنـــت لـــواء علمك قد رفعت
لئن جلس الغني على الحشايا لأنت على الكواكب قد جلستا
وإن ركـــب الجيـاد مسومات لأنـــت منـــاهج التقـوى ركبـتا.

obeikandl.com

٥

رضا الناس غاية لا تدرك

نعم ، رضا الناس غاية لا تدرك ، إذ لا يستطيع الإنسان إن يرضي جميع الناس ، فإن هو أرضى الصالحين لربما سخط عليه الطالحون ، وإن هو أرضي الرؤساء لربما غضب منه المرؤوسون ، وإن حاول إرضاء الأغنياء لربما كرهه الفقراء .وهكذا ، يصعب على الإنسان أن يرضي الجميع ، والسبب في ذلك الاختلاف الأفهام ، والعقول ، والنفوس و الأهواء و المصالح.

يرغب بعض الناس ، بل يستميت بعضهم ، في طلب رضا جميع الناس ، وهذا أمر يكاد يكون مستحيلا ، لذا فإن الصواب في هذا المر أن يسعي المرء في إرضاء الله عز وجل وتحقيق الحق ، ثم يحرص على التلطف مع الآخرين ، والإحسان في معاملتهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وبعدها ليرضي من يرضي وليسخط من يسخط ، فالحق أحق أن يتبع ، ورضا الله خير من رضا البشر ، ومن رضي الله عنه أرضي عنه الناس ، ومن سخط الله عليه أسخط عليه الناس.

إن رضا الله هو الميزان الذي ينبغي أن نزن به سلوكنا وأعمالنا ، فكن مع الله يكن الله معك.

٦

و من ذا الذي ترضي سجاياه كلها

على الإنسان وهو يتعامل مع الآخرين أن يدرك أن النقص من طبيعة البشر ، وأن الكمال لله تعالى ، والعصمة لنبيه صلى الله عليه وسلم لذا فليس من العيب أن يخطئ الفرد إذا ما اجتهد وبذل جميع الأسباب التي بين يديه ، ولكن الخطأ الأكبر أن ينظر الإنسان إلى الآخرين و كأنهم ملائكة معصومون من الخطأ و منزهون عن التقصير و الزلل.

يقول بعض العلماء البلغاء " : لا يزهدنك في رجل حمدت سيرته، وارتضيت و تيرته ، وعرفت فضله ، وبطنت عقله ، عيب خفي تحيط به كثرة فضائله ، أو ذنب صغير تستغفر له قوة وسائله ، فإنك لن تجد ما بقيت مهذبا لا يكون فيه عيب ولا يقع منه ذنب.

ويقول الخطيب البغدادي (وفي رواية ابن كثير في البداية و النهاية ج 9ص 106أنها مقولة التابعي سعيد بن المسيب):

"ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه ، فمتي كان فضله أكبر من نقصه وهب نقصه لفضله."

ويقول ابن الرومي:

هم الناس و الدنيا ولا بد من قذي يلم بعين أو يكدر مشربا
ومن قلة الإنصاف أنك تبتغي المهذب في الدنيا ولست المهذبا

ويقول النابغة الذبياني:

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب

ويقول بشار بن برد:

ومن ذا الذي ترضي سجاياه كلها كفي المرء نبلا أن تعد معايبه

وقال بعض الحكماء " : لا صديق لمن أراد صديقا لا عيب فيه"

وقيل لإنو روان : هل من احد لا عيب فيه ؟

قال " : من لا موت له."

إن الله تعالى يحاسب الناس يوم القيامة بهذا الميزان ، لذا يقول جلا وعلا : (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خلدون")

ويقول الإمام الذهبي في كتابه القيم " سير أعلام النبلاء " عند ترجمته للقفال الشاشي " : قال أبو الحسن الصفار : سمعت أبا سهل الصلعوكي ، وقد سئل عن تفسير أبي بكر القفال ،الشاشي" : قال أبو الحسن الصفار : سمعت أبا سهل الصلعوكي ، وقد سئل عن تفسير أبي بكر القفال ، فقال : قدسه من وجه ، ودنسه من وجه : أي دنسه من جهة نصره للاعتزال ." قلت) أي الذهبي : (قد مر موته ، والكمال عزيز ، وإنما يمدح العالم بكثرة ما له من

الفضائل ، فلا تدفن المحاسن لورطة ، ولعله رجع عنها ، وقد يغفر الله له باستفراغه الوسع في طلب الحق ، ولا قوة إلا بالله."

وقد وضع الإمام السبكي رحمه الله في طبقات الشافعية " قاعدة ذهبية في هذا الباب ، إذ قال : الصواب عندنا أن من تثبت إمامته وعدالته ، وكثر مادحوه ومزكوه ، وندر جارحوه ، و كانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه ، من تعصب مذهبي أو غيره ، فإنا لا نلتفت إلى الجرح فيه ، ونعمل فيه بالعدالة ، وإلا فلو فتحنا هذا الباب أو أخذنا تقديم الجرح على إطلاقه ، لما سلم لنا أحد من الأئمة ، إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون ، وهلك فيه هالكون."

ويقول الإمام ابن تيمية ناصحا تلميذه ابن القيم " : واعلم أن من قواعد الشرع و الحكمة أيضا ان من كثرت حسناته و عظمت و كان له في الإسلام تأثير ظاهر فإنه يحتمل له ما لا يحتمل لغيره ، ويعفي عنه مالا يعفى عن غيره ، فإن المعصية خبث ، والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث ." (القلة هو إناء من الفخار يشرب منه).

ويقول ابن رجب الحنبلي رحمه الله في كتابه " القواعد "ص : (3 "و المنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه."

وقال الذهبي رحمه الله تعالى في ترجمة الفضيل " : قلت:إذا كان مثل كبراء السابقين قد تكلم فيهم الروافض و الخوارج، و مثل الفضيل يتكلم فيه ، فمن الذي يسلم من ألسنة الناس ، لكن إذا

ثبتت إمامة الرجل وفضله ، لم يضره ما قيل فيه ، وإنما الكلام في العلماء مفتقر إلى وزن بالعدل و الورع.

obeikandl.com

٧

إذا أردت أن تطاع فأمر بالمستطاع

يقول الله تعالى " : لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ "

ويقول الله تعالى : (لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا).

ويقول تعالى : " وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ."

ويقول الله تعالى : " والذين أمنوا وعملوا الصالحات لا تكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحب الجنة هم فيها خلدون."

مما سبق يتأكد لنا أن لكل إنسان طاقة معينة وقدرة محدودة لا يستطيع تجاوزها ، وإذا طلب منه ما لا يستطيع اضطر إلى التقصير ، وربما يتمرد على هذا الطلب . وقد يحمل في نفسه حقدا وبغضا على الطالب.

إن الإنسان الفطن هو الذي يتعرف على إمكانيات الآخرين وقدراتهم ثم يطالبهم بما يستطيعون ، حتى لا يجرئهم على العصيان و المخالفة ولكي أيضا لا تسوء العلاقة بينه و بينهم ، ولذا نقول إذا أردت أن تطاع فأمر بالمستطاع.

obeikandl.com

٨

أنَّى لها وغرار عزمي باتر

يصادف الإنسان عند تعامله مع الآخرين أصنافا شتى من البشر ، فهناك المشجع وهناك المثبط ، وهناك الدافع إلى الإمام وهناك الساحب إلى الوراء . و العاقل من لا يستجيب للمثبطين ولا يلتفت إلى الوراء ، إذ لا خير فيمن لا يدعوك إلى التقدم ولا يدفعك إلى الخير ولا يعنيك على طاعة الله تعالى . وفي ذلك الشاعر:

تأخرت أستبق الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما

وقد حاولت زوجة العلامة محمود الزمخشري (المتوفي538 هـ) واسمها تماضر أن تثني عزيمة زوجها عن المسير إلى حج بيت الله الحرام ، فرد عليها بقوة و حزم قائلا:

قـامت لتمنـعني المسير تماضر أنـى لهـا وغـرار عـزمي باتر
شامت عقيقة عزمتي فحنينها رعد وعيناها السحاب الماطر
حـني رويدا لن يرق لضبيـة وبغامـها لـيث العرين الزائر
أرخي قناعك يا تماضر وامسحي عينـيك صـابرة فـإني صابر
لـو أشـبهت عبـرات عينك لجة وتعرضـت دوني فـإني عابر
إنـي لـذو وجـد كـما جربتني صلب وبعض الناس رخو فاتر
إن عنَّ لي أمـر قلى عن رفضه نـاهٍ وبـالإقـدام فيـه آمر
فإذا عزمت على تقارب نهضتي أمضي العزيمة جدي المتناصر

و الجد شيمة من له عرق إذا عدت عروق ذوي المرائر طائر
مـا فـضل المهـري إلا أنـه بـالجد في طي المراحـل مـاهر

إن الإيجابية و الإقدام ،وعدم الرجوع إلى الوراء ،بالإضافة إلى عدم الالتفات إلى المثبطين و المتقاعسين ، كل ذلك مما ينبغي أن يكون عليه المسلم عند تعامله مع الآخرين .إن الله تعالى ورسوله يدعوان المسلمين دائما إلى المبادرة والمسارعة والمسابقة ، حيث يقول تعالى " : وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين."

ويقول تعالى : " سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين امنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم."

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم ،يصبح الرجل مؤمنا ويمسي مؤمنا ويصبح كافراً ،يبيع دينه بعرض من الدنيا."

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال" : بادروا بالأعمال سبعا ،هل تنتظرون إلا فقرا منسياً ،أو غنى مطغياً ، أو مرضا مفسدا ،أو هرما مفندا ، أو موتا مجهزا ، أو الدجال ، فشر غائب ينتظر ، أو الساعة والساعة أدهى وأمر."

٩

من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه

إن العاقل لا يقدم على قول أو فعل إلا إذا وجد فيه كثيرا مرجوا أو را مجتنبا ، أنه يترك كل مالا يعنيه و ينشغل فيما ينفعه . و الذي يتكلم فيما لا يعنيه ، أو يسأل مالا يعنيه ، فإنه يتعرض لسخط الناس و غضبهم ذلك لأنه يتسبب في إحراجهم و مضايقتهم . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه."

قال مجاهد : سمعت ابن عباس رضي الله عنه يقول " : خمس لهن أحب إلى من الدهم الموقوفة : لا تتكلم فيما لا يعنيك فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر ، ولا تتكلم فيما لا يعنيك حتى تجد له موضعا فإنه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ، ولا تمار حليما ولا سفيها فإن الحليم يقليك و السفيه يؤذيك ، واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به واعفه بما تحب أن يعفيك منه و عامل أخاك بما تحب أن يعاملك به ، واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازي بالإحسان مأخوذ بالاحترام."

وقال مورق العجلى " : أمر أنا في طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ، ولست بتارك طلبه " ، قالوا : و ما هو ؟ قال " : السكوت عما لا يعنيني"

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه " : لا تتعرض لما لا يعنيك، واعتزل عدوك ، واحذر صديقك من القوم إلا الأمين ، ولا أمين إلا من خشي الله تعالى ، ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ، ولا تطلعه على سرك ، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى."

وروي أن لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعا ، ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم ، فجعل يتعجب مما رأي، فأرادا أن يسأله عن ذلك فمنعته حكمته ، فأمسك نفسه ولم يسأله ، فلما فرغ قام داود ولبسه ، ثم قال : نعم الدرع للحرب ، فقال لقمان " : الصمت حكم وقليل فاعله " أي حصل العلم به من غير سؤال . وسئل لقمان ذات مرة فقيل له : ما حكمتك ؟ فقال) : لا أسأل عما كفيت ، ولا أتكلف مالا يعنيني"

ومن أمثلة السؤال عما لا يعنيك أن تسأل صاحبك فتقول له: هل أنت صائم ؟ فإن قال : نعم ، كان مظهرا لعبادته ، فيدخل عليه الرياء ، وإن لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر ، وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات ، وإن قال : لا ، كان كاذبا ، وإن سكت كان مستحقرا لك وتأذيت به ، وإن احتال لمدافعة الجواب افتقر إلى جهد و تعب فيه . فقد عرضته بالسؤال إما للرياء أو للكذب أو للاستحقار أو للتعب في حيلة الدفع ، وكذلك سؤالك عن سائر عباداته ، وعن كل ما يخفيه ويستحي منه.

١٠
خصلتان يحبهما الله ورسوله

نعم و الله ، إنهما خصلتان ، يحبهما الله ورسوله ، موفق من أوتيهما ، ومحروم من حرمهما ، وهما الحلم و العفو . إن الحلم و العفو خلقان كريمان بينهما علاقة وطيدة ، إذ أن من يحلم مع الآخرين فإنه - في الغالب- يعفو عن زلاتهم و عثراتهم . ولكن ليس بالضرورة أن يتلازم هذان الخلقان ،فقد يحلم الإنسان ولا يعفو أو قد يعفو عن الآخرين دون أن يحلم معهم.

إن ثمة فرق دقيق في معني كل من التحلم - كظم الغيظ- و الحلم و العفو . فالتحلم هو تصنع الحلم أو تكلفه ، وذلك بأن يكظم الإنسان غيظه ، وهذا يحتاج إلى مجاهدة شديدة و مراغمة للنفس.

أما الحلم فهو كظم الغيظ دون تكلف أو عناء ، وإنما هو عادة وسليقة و طبيعة عند الإنسان من غير تصنع ، حيث يستقبل الإنسان عثرات الآخرين وزلاتهم ببرود أعصاب وعدم هيجان ، فلا يثور ولا يغضب ، وإن غضب فإنه يكتم غضبه دون تعب أو مشقة لأنه تعود على التحلم و كظم الغيظ حتى أصبح ذلك حلما ، وهو دليل على كمال العقل وسيطرته ، وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل.

أما الخلق الثالث وهو العفو و الصفح فهو أن يكون للإنسان حقا فيتنازل عنه فلا يقتص ولا يعاقب ولا ينتقم لنفسه ، ولذا فهو مختلف عن الحلم و التحلم ، فالحلم هو الابتعاد عن الهيجان و الانفعال و الغضب ، والعفو هو التنازل عن حق النفس و الصفح والإحسان للآخرين.

إن من المعلوم بالضرورة أن الكمال لله عز وجل ، وأن النقص من طبيعة البشر ، لذا ينبغي أن يتوقع الإنسان الخطأ و الزلل من الآخرين ، فإن حلم و عفا أراح نفسه من هم الغيظ وشر الغضب وحفظ علاقته مع الآخرين ومودتهم له ، وإن لم يفعل انصرمت أواصر الخوة و المحبة ودب الشقاق و النزاع و الخلاف.

لقد ربط الله بين مغفرته و الفوز بجنته وبين أولئك الذين يتصفون بهاتين الصفتين ، حيث قال تعالى " : وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ "آل عمران (134-133)

ويقول الله تعالى " : ولا يأتل أولوا الفضل منكم..... والله غفور رحيم " سورة النور:22

ويقول الله تعالى " وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ".

ويقول الله تعالى : " خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ".

ويروي البخاري ومسلم أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم الأشج ، فأناخ راحلته ثم عقلها ، وطرح عنه ثوبين كانا عليه . وأخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما ، ورسول الله يري ما يصنع ، ثم أقبل يمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الرسول صلى الله عليه وسلم " : إن فيك يا أشج خلقين يحبهما الله ورسوله " قال: ما هي بأبي أنت وأمي يا رسول الله ؟ قال " : الحلم و الأناة " فقال : خلقان تخلقتهما أو خلقان جبلت عليهما ؟ فقال " : بل خلقان جبلك الله عليهما " ، فقال : الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله.

وروي الإمام الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في الناس عصر يوم من الأيام فكان مما قاله لهم " : إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى : ألا وإن منهم البطيء الغضب سريع الفيء ، و السريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك . ألا وإن منهم بطئ الفيء سريع الغضب ، ألا و خيرهم بطئ . الغضب سريع الفيء ، ورهم سريع الغضب بطئ الفيء . ألا وإن منهم حسن القضاء حسن الطلب ، ومنهم سيء القضاء ، حسن الطلب ، ومنهم سيء الطلب حسن القضاء فتلك بتلك . ألا وإن منهم سيء القضاء سيء الطلب. ألا و خيرهم الحسن القضاء الحسن الطلب ومنهم سيء القضاء حسن الطلب ومنهم سيء الطلب حسن القضاء فتلك بتلك . ألا وإن منهم سيء القضاء سيء الطلب . ألا وخيرهم الحسن القضاء

الحسن الطلب . وشرهم سيء القضاء سيء الطلب . ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم ، أما رأيتم إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه . فمن أحس بشيء من ذلك فليلصق بالأرض - أي فليبق مكانه وليجلس -.

ويروي الإمام أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء."

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : ثلاث و الذي نفسي بيده لو كنت حلافا لحلفت عليهن : ما نقص مال من صدقة فتصدقوا ، ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله إلا زاده الله عزا يوم القيامة ، ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر."

وعن عائشة رضي الله عنها قالت " : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط مالم ينتهك من محارم الله ، فإذا انتهك من محارم الله شيء كان أدهم في ذلك غضبا ، و ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما."

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال " : من اتقى الله لم يشف غيظه ، ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء ، ولولا يوم القيامة لكان غير ماترون . وقال كذلك " : تعلموا العلم و تعلموا للعلم السكينة و الحلم.

واجتمع سفيان الثوري وأبو خزيمة اليربوعي و الفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد ، فأجمعوا على أن أفضل الأعمال : الحلم عند الغضب ، والصبر عند الجزع . وقال بعضهم " : شتمت فلانا من أهل البصرة فحلم على فاستعبدني بها زمانا " وقال الحسن " : اطلبوا العلم وزينوه بالوقار و الحلم ."

وقال أكثم بن صيفي - وهو حكيم العرب في الجاهلية ، وأحد المعمرين ، عاش زمنا طويلا ، وأدرك الإسلام ، فخرج قاصدا المدينة ليسلم فمات في الطريق في السنة التاسعة للهجرة " : دعامة العقل الحلم ، وجماع الأمر الصبر. "

وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه " : لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله و صبره شهوته ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم."

وقال كذلك معاوية لعمرو بن الأهتم - وهو عمرو بن سنان ، شاعر ، وسيد و خطيب في الجاهلية والإسلام ، تكلم بين يدي النبي فقال الرسول صلى الله عليه وسلم " : إن من البيان لسحرا "توفي سنة57 هـ " أي الرجال أجع ؟ فقال : من رد جهله بحلمه ، قال : أي الرجال أسخي ؟ فقال : من بذل دنياه لصلاح دينه.

وروي أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال لعرابة بن أوس - وهو من سادات المدينة ، أدرك النبي وأسلم صغيرا ، وفد الشام في أيام معاوية ، وتوفي بالمدينة نحو 60 هـ: بم سدت قومك

يا عرابة ؟ قال " : يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم ، وأعطي سائلهم ، وأسعي في حوائجهم ، فمن فعل فعلى فهو مثلى ، ومن جاوزني فهو خير مني ، ومن قصر عني فأنا خير منه.

وسب رجل ابن عباس رضي الله عنه فلما فرغ قال ، يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها ؟ فنكس الرجل رأسه واستحي.

وعن علي بن الحسين بن على بن أبي طالب أنه سبه رجل ، فرمى إليه بخميصة كانت عليه ، وأمر له بألف درهم ، فقال بعضهم : جمع له خمس خصال محمودة : الحلم وإسقاط الأذى ، وتخليص الرجل مما يبعد من الله عز وجل ،وحمله على الندم والتوبة ، ورجوعه إلى مدح بعد الذم ، اشتري جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير.

وقال رجل لجعفر بن محمد : قد وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر ، وإني أريد أن أتركه فأخشى أن يقال لي : إن تركك له ذل ، فقال جعفر : إنما الذليل الظالم.

وقال الأحنف بن قيس " : لست بحليم ولكنني أتحلم"

وقال بعض العلماء " : الحلم أرفع من العقل ، لأن الله تعالى تسمى به."

ومر المسيح بن مريم عليه السلام بقوم من اليهود ، فقالوا له خيرا ، فقال لهم خيرا ،فقيل له : إنهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا؟ فقال " : كل ينفق مما عنده."

وقال لقمان لابنه " : يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسألة ولا تشف غيظك بفضيحتك ، واعرف قدرتك تنفعك معيشتك"

وقال لقمان أيضا " : ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة ، لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا عند الحرب ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه."

وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه فلم يغضب ، فقيل له في ذلك فقال : أقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب . وقال محمود الوراق - وهو محمود بن حسن ، شاعر، أكثر شعره في المواعظ و الحكم ، توفي عام225 هـ- .

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب وإن كثرت منه على الجرائم
و ما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف و مشروف و مثلى مقاوم
فأما الذي فوقي فأعرف قدره وأتبع فيه الحق و الحق لازم
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن إجابته عرضي وإن لام لائم
وأما الذي مثلى فإن زل أو هفا تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم

وقال عمرو بن على:

إذا نطق السفيه فلا تجبه فخير من إجابته السكوت
سكت عن السفيه فظن أني عيت عن الجواب و ما عييت
عن الجواب و ما عييت

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينفق على مسطح بن أثاثة - أمه بنت خالة أبي بكر الصديق ، توفي عام 34 هـ- لقرابته ،

فلما تكلم مسطح على عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك ، أقسم أبو بكر أن لا ينفق على مسطح ، فأنزل الله تعالى قوله : وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " النور (22)

فقال أبو بكر : نعم نحب ذلك ، وعاد إلى الإنفاق عليه.

و عن ابن عمر رضي الله عنه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال " : بلغنا أن الله يأمر مناديا يوم القيامة فينادي : من كان له عند الله شيء فليقم ، فيقوم أهل العفو ، فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس."

ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فجعل يشكو إليه رجلا ظلمه ، ويقع فيه ، فقال له عمر : إنك إن تلقى الله و مظلمتك كما هي خير من أ تلقاه وقد اقتصصتها.

وعن مبارك بن فضالة قال : وفد سوار بن عبد الله - وهو قاضي من تميم ، له شعر رقيق و علم بالفقه و الحديث ، من أهل البصرة ، توفي سنة245 هـ- في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر ، قال : فكنت عنده إذ أتي برجل فأمر بقتله ، فقلت : يا أمير المؤمنين ألا أحدثك حديثا سمعته من الحسن ؟ قال : و ما هو ؟ قلت : سمعته يقول : إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي و ينفذهم البصر ، فيقوم مناد

فينادي : من له عند الله يد فليقم ، فلا يقوم إلا من عفا ، فقال : والله لقد سمعته من الحسن ؟ فقلت : و الله لقد سمعته منه ، فقال : خلينا عنه.

وقال معاوية رضي الله عنه " : عليكم بالحلم و الاحتمال حتى تمكنكم الفرصة ، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح و الإفضال "

وروي أن راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب : أرأيت ذا القرنين ، أكان نبيا ؟ فقال : لا ، ولكنه إنما أعطي ما أعطي بأربع خصال كن فيه : كان إذا قدر عفا ، وإذا وعد وفي ، وإذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لغد.

وقال بعضهم " : ليس الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر انتقم ولكن الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر عفا."

وروي أن سارقا دخل خباء عمار بن ياسر بصفين ، فقيل له : اقطعه فإنه من أعدائنا ، فقال : بل استر عليه لعل الله يستر على يوم القيامة.

وقال الفضيل : ما رأيت أزهد من رجل من أهل خراسان ، جلس إلى في المسجد الحرام ، ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي ، فقلت : أعلى الدنانير تبكي ؟ فقال : لا ، ولكن مثلتني وإياه بين يدي الله عز وجل فأشرف عقلي على إدحاض حجته فبكائي رحمة له.

وكتب ابن المفقع إلى صديق له يسأله العفو عن بعض إخوانه فقال " : فلان هارب من زلته إلى عفوك ، لائذ منك بك ، واعلم أنه لن يزداد الذنب عظما إلا ازداد العفو فضلا."

وأتي عبد الملك بن مروان بأساري ابن الأشعث - وهو عبد الرحمن بن محمد ، توفي عام85 هـ ، وهو أمير وقائد شجاع ، أرسله الحجاج بجيش لغزو بلاد الترك ، فثار على الحجاج ، ونشبت بينهما حروب انتهت بمقتله (فقال لرجاء بن حيوة) وهو عالم وواعظ وشيخ أهل الشام في عصره ، وهو الذي أشار على سليمان بن عبد الملك ب استخلاف عمر بن عبد العزيز : ما تري ؟ قال : إن الله تعالى قد أعطاك ما تحب من الظفر ، فأعط الله يحب من العفو ، فعفا عنهم.

وروي أن زيادا أخذ رجلا من الخوارج فأقلت منه ، فأخذ أخا له فقال له : إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك فقال : أرايت إن جئتك بكتاب من أمير المؤمنين تخلى سبيلى ؟ قال : نعم ، قال : فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم و موسى ، ثم تلا قوله تعالى" أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى "فقال زياد :خلوا سبيله ، هذا رجل لقن حجته ، وقيل مكتوب في الإنجيل " : من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان.

وقال ابن الرومي:

فعذرك مبسوط الذنب مقدم ... وودك مقبـول بـأهل ومرحب
ولـو بلغتـني عنـك أذني أقمتها ... لدي مقام الكاشح المتكذب
فلست بتقليب اللسان مصارما ... خليلا إذا ما القلب ما يتقلب

وقال بعض شعراء هذيل:

فبعض الأمر تصلحه ببعض ... فـإن الغـث يحمله السمين
ولا تـعجل بظـنك قبل خبر ... فعند الخـبر تنقطع الظنون
تري بين الرجال العين فضلا ... وفيما أضمروا الفضل المبين
كـلون المـاء مشتـبها وليست ... تخـبر عـن مذاقـته العيـون

وجلس عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في السوق يبتاع طعاما ، فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته ، فوجدها قد حلت قال : حلت وإنها لمعي ، فجعلوا يدعون على من أخدها ، ويقولون : اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها ، اللهم افعل به كذا، فقال عبد الله بن مسعود : اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها ، وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه.

وقال مالك بن أوس بن الجدثان : غضب عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رجل وأمر بضربه فقلت : يا أمير المؤمنين : خذ العفو وأمر وأعرض عن الجاهلين ، فكان عمر يقول " : خذ العفو "...فكان يتأمل في الآية ، وكان وقافا عند كتاب الله مهما تلي عليه ، كثير التدبر فيه ، ثم خلى الرجل.

وأمر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى " : والكظمين الغيظ "، فقال لغلامه : خل عنه.

وفي كفر المصيلحة بمصر ، بلد عبد العزيز باشا فهمي - وهو سياسي مصري ورئيس حزب الحرار الدستوري ، (1948 – 1870 حدثت مشادة بين الدعاة إلى الله وبين أفراد عائلة الباشا . وعلى أثر هذه المشادة توجه بعض الدعاة من هذه البلدة إلى القاهرة وقدموا إلى الأستاذ حسن البنا رحمة الله شكواهم ، ثم قالوا : إنه بعد ذلك لا يستحب لفضيلتكم أن تقوموا بزيارة عبد العزيز باشا فهمي عند حضوركم للبلدة . وكان من عادة الأستاذ البنا أنه إذا نزل بلدا فإنه يبدأ بزيارة عمدتها أو كبيرها . وبعد أن استمع فضيلته منهم صرفهم و نصحهم أن يلتزموا الحكمة و الصبر.

و مضت الأيام واعتزم الأستاذ البنا زيارة كفر المصيلحة ، فانطلق إليها ، فلما وصل طلب من السائق التوجه إلى دار عبد العزيز باشا فهمي –كالعادة- ولم يستطع السائق إلا تنفيذ طلب الأستاذ . وأخذت الدعاة الدهشة ، ولكن الموكب سار حتى وصل إلى دار الباشا الذي كان هو وعائلته يتشككون في هذه الزيارة بعد الذي حدث . فلما وصل إلى الباشا استقبله و عائلته استقبالا كريما ، وودعوه وداعا لائقا.

وفي المساء ، ازدحم السرادق ، وكان في الحضور نفر من أولئك الذين جاءوا ليؤججوا نيران الفتنة ، ويصيدوا في الماء العكر .

ووقف حسن البنا خطيبا ، وحلق بالناس جميعا في عالم جديد ، بعيدا كل البعد عما يجول في خاطرهم ، حتى بلغ غايته وربط بين القلوب برباط الإسلام ، ثم أذهب عن النفوس كيد الشيطان حيث قال : أنه جاء إليه منذ مدة وفد من هذه القرية ، وحدثوه عن المشادة التي حدثت بين الدعاة و بين عائلة عبد العزيز باشا فهمي ، ولكن الدعاة كما تعلمون يصدرون في كل تصرفاتهم عن عقيدة و شريعة ، ولا يحتكمون إلى هوي ولا يقادون إلى شهوة كما قال تعالى: " ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوي" لهذا حين جئت إلى هذا البلد الطيب كان لابد أن أدخل البلد من الباب ، ولا يمكن أن أدخله من الشباك ، والباب الوحيد لهذا البلد هو منزل عبد العزيز باشا فهمي.

وبوقوف الأستاذ البنا عند هذه الكلمات الحكيمة الشافية تعالت الهتافات من الناس جميعا ، تصافحت الأيدي وزالت العداوة ، وربط الله بين القلوب."

وأخيرا نود أن نذكر في هذا المقام بعض الأمور التي تعين المرء على التحلي بهذين الخلقين - الحلم و العفو- عند تعامله مع الآخرين ، وهي:

- تدبر فضل الحلم و العفو وأجرهما عند الله تعالى.
- إدراك أن للحلم و العفو عاقبة كريمة وشرف رفيع في الدنيا وأن زوالهما عن المرء خسارة كبيرة في الدنيا قبل الآخرة.

- قراءة سيرة أهل الحلم و العفو و السعي للاقتداء بهم و التأسي بأفعالهم.
- مجالسة أهل الحلم و العفو و مصاحبتهم ، فالصاحب ساحب.
- تصنع الحلم و العفو حتى يصبحا سجية ، فإنما العلم بالتعلم و الحلم بالتحلم.
- أن يجعل المسلم غضبه لله ولرسوله ولدينه ، فيستعيض بهذا الغضب عن الغضب للذات وللدنيا.
- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.
- الاغتسال و الوضوء ، فالغضب نار ولا يطفئ النار إلا الماء
- تغيير طبيعة الوقوف و الجلوس ، فإن كان الإنسان قائما جلس ، وإن كان جالسا استلقى.
- الاستزادة من العلم ، فالعلم نور يقود صاحبه إلى كل خير ويدعوه إلى كل خلق كريم.

openkandil.com

١١

سلِّم على من تعرف و من لا تعرف

السلام باب واسع يمكن به الدخول إلى قلوب الآخرين ، به يأنس الخائف ، ويطمئن المفزوع ، ويقترب البعيد ، وتبني المودة ، ويخزي الشيطان.

وقد قال الله تعالى : " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ "سورة النور : الآية.27

وقال تعالى " : فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً "سورة النور.16 وقال تعالى : " وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا " سورة النساء 68

وقال تعالى : " هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ " سورة الذاريات : الآيتان.25-24

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " : لما خلق الله آدم عليه السلام قال : اذهب فسلم على أولئك –نفر من الملائكة جلوس – فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك ، فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله ، فزادوه . ورحمة الله. "

ويروي البخاري و مسلم عن عبد الله بن العاص رضي الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الإسلام خير ؟ قال " : تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت و من لم تعرف."

ويروي الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم علي شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم."

وعن أبي يوسف عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " : يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا و الناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام."

وروي الإمام مالك في الموطأ بإسناد صحيح عن الطفيل بن أبي كعب أنه كان يأتي عبد الله بن عمر ، فيغدو معه إلى السوق ، قال : فإذا غدونا إلى السوق ، لم يمر عبد الله على سقاط ولا صاحب بيعة ولا مسكين ولا أحد إلا سلم عليه ، قال الطفيل : فجئت عبد الله بن عمر يوما فاستتبعني إلى السوق ، فقلت له : ما تصنع بالسوق وأنت لا تقف على البيع ولا تسأل عن السلع ولا تسوم بها ولا تجلس في مجالس السوق ؟

وأقول : أجلس بنا ها هنا نتحدث ، فقال : يا أبا بطن – وكان الطفيل ذا بطن – إنما نغدو من اجل السلام ، فنسلم على من لقيناه.

وروي البخاري و مسلم عن أنس رضي الله عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم و قال " : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله ." إنها المودة و المحبة التي تنبعث مع السلام ، وصدق الشاعر:

يمكث الناس دهرا ليس بينهم ود فيزرعه التسليم و اللطف

ونظرا لمكانة السلام في الإسلام ، ولعظم شأنه في التأليف بين القلوب ، ولحاجة الناس إليه في تعاملهم مع بعضهم بعضا فإن هناك عدة مسائل متعلقة به يحسن ذكرها حتى لا يلتبس الأمر على أحد ، وهذه المسائل هي:

١ -السلام هو اسم لله تعالى ، وقولك السلام عليك أي السلام عليك ، ومعناه : أنت في حفظ الله تعالى كما يقال : الله معك و الله يصحبك.

٢ -إن إلقاء السلام سنة ورده واجب لذا يقول الإمام النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم " : واعلم أن ابتداء السلام سنة ورده واجب . وإن كان المسلم جماعة فهو سنة كفاية في حقهم ، إذا سلم بعضهم حصلت سنة السلام في حق جميعهم . فإن كان

المسلم عليه واحد تعين عليه الرد ، وإن كانوا جماعة كان الرد فرض كفاية في حقهم ، فإن رد واحد منهم سقط الحرج عن الباقين، والأفضل أن يبتدئ الجميع بالسلام ، وأن يرد الجميع.

وعن أبي يوسف : أنه لا بد أن يرد الجميع ، ونقل ابن عبد البر و غيره إجماع المسلمين على أن ابتداء السلام سنة وأن رده فرض.

روي الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : خمس تجب للمسلم على أخيه : رد السلام ، و تشميت العاطس ، وإجابة الدعوة ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز.

٣ -إن صيغة ابتداء السلام في الإسلام هو " السلام عليكم " أو "السلام عليك " ويقول الإمام النووي " : وأقل السلام أن يقول : السلام عليكم ، فإن كان المسلم عليه واحدا فأقله السلام عليك والأفضل أن يقول : السلام عليكم ليتناوله و ملكيه ، وأكمل منه أن يزيد ورحمة الله) وأيضا (وبركاته ، ولو قال : سلام عليكم أجزأه."

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول الرجل : عليك السلام ، فعن أبي جري الهجيمي رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : عليك السلام يا رسول الله، قال : لا تقل عليك السلام ، فإن عليك السلام و تحية الموتى.

٤-أما صيغة رد السلام ، فيقول الإمام النووي في شرح صحيح مسلم " : وأما صفة الرد فالأفضل و الأكمل أن يقول : عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، فيأتي بالواو) التي تسبق عليكم (فلو حذفها جاز و كان تاركا للأفضل ، ولو اقتصر على) وعليكم السلام (أو) عليكم السلام (أجزأه ، ولو اقتصر على عليكم لم يجزه بلا خلاف ، ولو قال " : وعليكم "بالواو ، ففي إجزاءه وجهان لأصحابنا) أي بعضهم يجيزه و بعضهم لا يجيزه .

- أما بالنسبة للسلام على غير المسلمين من اليهود و النصارى وغيرهم من المشركين و الكفار ففيه تفصيل وهو كالتالي.:
- إذا كانوا محاربين و بيننا و بينهم عداء وحرب و قتال ، فلا يجوز أن نبدأهم بالسلام ، ولا أن نرد عليهم السلام ، لأن السلام دليل المودة ولا مودة بيننا و بينهم من أي نوع كان.
- أما إذا كانوا غير محاربين ، فإن أكبر العلماء و عامة السلف يرون عدم جواز ابتدائهم بالسلام ووجوب رد السلام عليهم إن هم ابتدأوا بالسلام ، ويكون الرد بأن تقول " وعليكم "أو " عليكم "بإثبات الواو أو حذفها) كما ذكر ذلك الإمام النووي . (روي الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " : لا تبدؤوا اليهود و النصارى بالسلام ، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه " وروي البخاري

ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : عليكم."

- رأي بعض العلماء أنه يجوز ابتداؤهم) أي اليهود و النصارى و المشركين (بالسلام للضرورة و الحاجة أو لأي سبب وهذا رأي جماعة و علقمة و النخعي و الأوزاعي و غيرهم.
- يبدو ، والله أعلم ، أن الأحوط و الأرجح و الأقرب إلى مدلول الأحاديث الواردة في هذا الباب أن لا يبدأ المسلم غير المسلم بالسلام ، أي لا يقول له : السلام عليكم ، ولكن عند الحاجة و الضرورة أو لأي سبب من الأسباب) كأن يريد أن يدعوه إلى الإسلام، أو يريد أن يحسن معاملة جاره غير المسلم ، أو لكونه مضطرا للتعامل معه ، أو لغيرها من الأسباب (فإنه لا يبدأه بالسلام ولكن يمكن أن يبدأه بالترحيب ، كأن يقول له : مرحبا ، أو صباح الخير ، أو مساء الخير ، أو نهارك طيب ، أو كيف حالك ، أو غيرها من عبارات الاستقبال و الترحيب . وإذا بدأ الكفار المسلمين بهذا الترحيب فإنهم يردون عليهم بمثله.
- إذا مر المسلم على جماعة فيهم مسلمون و كفار ، فالسنة أن يسلم عليهم قاصدا المسلمين لا الكفار . يروي البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين و الشركين و عبدة الأوثان و اليهود – فسلم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم.

• أما السلام على المبتدع المجاهر ببدعته ، والذي أقيمت عليه الحجة هو مصر على بدعته الكبيرة ولم يتب منها ، فيرى الإمام البخاري و الإمام النووي و غيرهما من العلماء أنه لا يسلم عليه ولا يرد عليه السلام حتى يتوب عن بدعته.

• إذا اضطر المسلم إلى السلام على الظلمة و المجرمين مثالهم ، بأن دخل عليهم و خاف ترتب مفسدة في دينه أو دنياه إن لم يسلم عليهم ، فله أن يسلم عليهم اتقاء لشرهم وبطشهم . قال الإمام أبو بكر بن العربي : قال العلماء : يسلم) يعني على الظلمة وأمثالهم (وينوي أن السلام اسم من أسماء الله تعالى ويكون مراده: الله عليكم رقيب.

• أجاز كثير من العلماء سلام الرجل على المرأة و المرأة على الرجل إذا أمنوا الفتنة ن فتسلم المرأة على محارمها و يجب أن ترد عليهم السلام ، كما يسلم الرجل على محارمه ويجب أن يرد عليهم السلام . وإذا كانت المرأة أجنبية ، فإن كانت عجوزا جاز السلام عليها ، وإن كانت شابة جميلة يخشى الافتنان بها فلا يجوز السلام عليها ، وإن سلمت فيكره الرد عليها مخافة الفتنة . كما يجوز تسليم الواحد من الرجال على جماعة من النساء ما دامت الفتنة مأمونة . فعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت : مر علينا النبي صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلم علينا) رواه أبو داود و الترمذي وقال : حديث حسن . (وروي الإمام مسلم عن أم هانئ فأخته بنت

أبي طالب رضى الله عنها قالت : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وهو يغتسل ، وفاطمة تستره بثوب ، فسلمت".

- إذا مر الماشي على القاعد ، فالسنة أن يسلم الماشي على القاعد ، سواء كان الماشي صغيرا أو كبيرا، قليلا أو كثيرا . كما يسلم الداخل على من بالبيت على أي حال ، وإذا تلاقى اثنان في طريق ، فإن السنة أن يسلم الراكب على الماشي ، والقليل على الكثير ، والصغير على الكبير ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : يسلم الراكب على الماشي،والماشي على القاعد ، والقليل على الكثير."
- إذا مر المسلم على واحد أو أكبر ، وأغلب على ظنه أنه إذا سلم لا يرد عليه أحد السلام ، أما لتكبر أو الإهمال أو لغيرهما ، فينبغي للمسلم أن يسلم ولا يترك السلام لهذا الظن ، فإن السلام مأمور به ، والذي أمر به المار أن يسلم ولم يؤمر بأن يحصل الرد ، مع أن المرور عليه قد يخطئ الظن فيه ويرد السلام ، وعلى كل حال فإنه ينبغي أن ينتبه المرور عليه إلى أن رد السلام واجب يأثم من يتركه عمدا.
- يكره أن يلقى الرجل جماعة من الناس ثم يخص طائفة منهم بالسلام و يترك الباقين ، لأن القصد من السلام المؤانسة و الألفة ، وفي تخصيص البعض إيحاش للباقين ، وربما كان سببا للعداوة . عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله

عليه وسلم قال " : بين يدي الساعة تسليم الخاصة . " وعن ميمون بن مهران أن رجلا سلم على أبي بكر رضي الله عنه قال : السلام عليك يا خليفة رسول الله ، فقال : أمين بين هؤلاء أجمعين ؟!

• إذا مشى المسلم في السوق أو في الشوارع المطروقة كثيرا و نحو ذلك من الأماكن التي يكثر فيها الناس ، فقد ذكر الإمام الماوردي أن السلام هنا إنما يكون لبعض الناس دون بعض ، لأنه لو سلم على كل من لقى لتشاغل به عن كل مهم ، ولخرج به عن العرف.

• ذكر الماوردي رحمه الله : إذا دخل إنسان على جماعة قليلة يعمهم سلام واحد ، اقتصر على سلام واحد على جميعهم ، وما زاد من تخصيص بعضهم فهو أدب . فإن كان جمعا لا ينتشر فيهم السلام الواحد ، كالجامع ، فسنة السلام أن يبتدئ به الداخل في أول دخوله إذا شاهد القوم ، ويكون مؤديا سنة السلام في حق جميع من سمعه ، ويكون الرد عليه فرض كفاية ، فإن أراد الجلوس فيهم سقط عنه سنة السلام ، وإن أراد أن يجلس فيمن يعدهم ممن لم يسمع سلامه المتقدم ففيه وجهان : احدهما أن سنة السلام عليهم قد حصلت بالسلام على أوائلهم لأنهم جمع واحد ، فلو أعاد السلام عليهم كان أدبا ، وعلى هذا أي أهل المسجد رد عليه سقط به فرض الكفاية عنهم جميعا ، والوجه الثاني أن سنة السلام باقية لمن لم يبلغهم سلامه المتقدم إذا أراد الجلوس

فهم ، فعلى هذا لا يسقط فرض رد السلام المتقدم عن الأوائل برد الأواخر.

- ينبغي للمسلم أن تكون تحيته للمسلمين " السلام عليكم " وليس " صباح الخير "أو " طاب نهارك " أو " مرحبا "، و إنما يبدأ بالسلام ثم يرحب بعد ذلك بما شاء من الترحيب.
- السلام يكون بالنطق وليس بالإشارة باليد كما يفعل بعض الناس . أما إذا كان المسلم عليه بعيدا ، فأشرت إليه ليرى أنك تحييه و نطقت مع الإشارة بالسلام ، فإن ذلك لا بأس به ما دام لا يسمعك ، لأن الإشارة حينئذ دليل السلام وليس نائبة دام لا يسمعك ، لأن الإشارة حينئذ دليل السلام وليس نائبة عنه ، وكذلك يقال في رد السلام.
- يكره أن يسلم المرء على من كان منشغلا بقضاء حاجته أو كان نائما أو ناعسا أو كان مختليا بزوجته ، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال " : سلم رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبول فلم يرد عليه ." أما من كان منشغلا بقراءة القرآن أو بالصلاة ، فأجاز بعض العلماء) كالإمام النووي (السلام عليهم وكرهه آخرون) كالواحدي . (ويكون الرد بالإشارة عند الصلاة و باللفظ عند قراءة القرآن.
- يستحب إذا دخل المسلم بيته أن يسلم وإن لم يكن فيه أحد ، وليقل " : السلام علينا و على عباد الله يكن فيه أحد ، وليقل

" :السلام علينا و على عباد الله الصالحين . " جاء ذلك عن ابن عمر بإسناد حسن عند ابن أبي شيبة.

• ينبغي أن يكون السلام مسموعا - سواء كان ابتداء أم ردا - إذا كان المسلم و المسلم عليه قريبين من بعضهما ، ولا يكون السلام سرا . ولكن في الوقت ذاته لا يليق بالمسلم أن يرفع صوته بالتسليم فوق الحاجة ، فعن المقداد رضي الله عنه في حديثه الطويل قال : كنا نرفع للنبي صلى الله عليه وسلم نصيبه من اللبن ، فيجيء من الليل ، فيسلم تسليما لا يوقظ نائما و يسمع اليقظان."

• ينبغي أن يكون رد السلام على الفور ، وقد أوجب ذلك الإمام النووي و غيره ، فلا يليق تأخير الرد إلا لحاجة ماسة ، كان يكون في الحمام يقضي حاجته أو لا يستطيع أن يرد لأمر ما ، فإنه حينئذ يؤخر الرد ، يرد في أقرب فرصة يمكنه الرد فيها ولا يؤخره عن ذلك.

• يستحب للرجل أن يعيد السلام ويكرره إذا فارق أخيه ولو فترة وجيزة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " : إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه.

• ويستحب كذلك للمسلم أن يسلم إذا قام من المجلس ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم " : إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم ، فإذا أراد ان يقوم فليسلم ، فليست الأولى بأحق من الآخرة."

- إن البركة تتنزل بالسلام ، حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " إذا دخلت على أهلك فسلم يكن بركة عليك و على أهل بيتك "
- تستحب المصافحة عند السلام، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " : ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا . وقال أبو ذر رضي الله عنه " : ما لقيته صلى الله عليه وسلم إلا صافحني ، وطلبني يوما فلم أكن في البيت فلما أخبرت جئت وهو على سرير فالتزمني فكانت أجود وأجود."
- كما يستحب مع السلام البشاشة و الابتسامة ، حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " لا تحقرن مع المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق."
- ونؤكد أخيرا أن الإسلام دعا المسلمين إلى إفشاء السلام و ليس إلى إلقائه فحسب " وإفشاء السلام هو إظهاره و نشره وإذاعته بين الناس ." يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " : يا أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا و الناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام."

١٢
السهل الممتنع

أول درس يتعلمه السياسيون هو " :" أن تذكر اسم الناخب هو منتصف الطريق إلى الرئاسة ، بينما نسيانه هو منتصف الطريق إلى الإخفاق."

وكان نابليون الثالث إمبراطور فرنسا يفخر بمقدرته على تذكر اسم كل شخص كان يتلقى به رغم كل واجباته الملكية.

فكيف كان يستطيع ذلك ؟ كان إذا لم يسمع الاسم بوضوح يطلب من صاحبه إعادة لفظه بصوت مسموع ، وإذا كان الاسم غريبا طلب من صاحبه إعادة لفظه بصوت مسموع ، وإذا كان الاسم غريبا طلب من صاحبه كتابته أو تهجئته . وكان يردد الاسم عدة مرات خلال أحاديثه ، ويحاول ربطه بملامح و تعابير و مظهر الرجل الخارجي . وإذا كان الإنسان على قدر من الأهمية ، كان نابليون عندما يخلو بنفسه يدوّن اسم الرجل على ورقة ويركز تفكيره عليه لتثبيته في ذهنه ، ومن ثم يمزق الورقة ، بهذه الطريقة كان اسم و هيئة الرجل تثبت جيدا في ذهنه.

يقول الأستاذ عباس السيسي واصفا الأستاذ البنا " : كان في مقدمة ما يتميز به الشيخ البنا قوة إيمان وقوة ذاكرة لم أجدهما

معا حتى كتابة هذه السطور في إنسان ما . كان – مثلا- يقابل أحدهم مقابلة عرضية في شارع أو في " أجزخانة "أو في مدرسة فيتعرف على اسمه ، وتمضي سنوات ثلاثة أو أربع أو خمس بل أكبر ، ويلتقي الشيخ بذلك الرجل فيذكر له اسمه و يتذكر وإياه موعد اللقاء و الحديث الذي دار بينهما."

ويذكر الأستاذ إحسان عبد القدوس في إحدى كلماته في مجلة "روزاليوسف "التي تصدر في القاهرة ، يذكر أنه كان يعرف في أيام الحرب العالمية الثانية جنرالا في الجيش البريطاني يمتاز بذاكرة حادة ، وخاصة في حفظ الأسماء ، ولكنه حين عرف الشيخ حسن البنا انبهر بذاكراته النادرة ، وخاصة في حفظ الأسماء ، والتي لم يعد يقارن بينها وبين غيرها.

و من الملاحظ في أرض الواقع أنه إذا تذكر رجل عظيم أو وجيه أو مشهور أحد المغمورين أو البسطاء ، فإن ذلك يجعل هذا المغمور يشعر بالفخر و الاعتزاز ، ويجعله يتباهى بذلك و يخبر أقرانه و زملاءه ، إنه باب سهل يسير للولوج إلى قلوب الناس ، ولكن كثيرا من الناس لا ينتبهون إليه ولا يتقنونه ، لأنه السهل الممتنع.

١٣
ادع الناس بأحب الأسماء إليهم

وهو نوع من التقدير و الاحترام ، إذا أن اسم الإنسان هو عنوانه ، ورفيقه طوال حياته ، لا يستطيع أن ينفك عنه أبدا ، لذلك حث الإسلام المسلمين أن يحسنوا اختيار أسماء أولادهم . يروي الإمام أبو داود في سننه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم فأحسنوا أسماءكم."

وقد ذكر الإمام أبو داود و غيره من المحدثين أن النبي صلى الله عليه وسلم غير الأسماء القبيحة إلى أسماء حسنة ، فعاصية سماها جميلة ، وأصرم سماه زرعته ، وحرب سماه سلما ، والمضطجع سماه المنبعث ، وعب الضلالة سماه شعب الهدي ، وبنو مغوية سماهم بني رشدة.. إلخ.

و جاء في صريح السنة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطيرن وكان يحب الاسم الحسن."

إن بعض الناس لا يدركون أهمية أن يكون لأبنائهم أسماء حسنة وأن هذا حق من حقوقهم ، بل إن بعضهم يسمي أبناءه بأسماء القاذورات ، أو يسميهم بأسماء مجرمين وطغاة اشتهروا

بجرائمهم ، أو يسميهم بأسماء رقيقة هي أقرب إلى الميوعة منها إلى الرجولة ، أو يسميهم بأسماء مستهجنة عند قومه وليس لها أصل في دين أو عرف ، أو يسميهم بأسماء اليهود أو النصارى أو الهندوس أو غيرهم.

كل هذه التسميات لها آثار سلبية على صاحب الاسم و على علاقته بالآخرين ، فكم من أناس يخجلون من أسمائهم و كم من رجال يضطرون إلى تغيير أسمائهم بعد أن يشتد عودهم و يدركوا ما تسببه هذه الأسماء من ضيق نفسي و حرج شديد لهم ، ومن سخرية الآخرين واستهزائهم بهم.

و من هذا المنطلق فإن الإنسان يفرح إذا ناديته باسم حسن ، يزداد فرحا إذا ناديته بأحب الأسماء إليه سواء كان ذلك أسما أو كنية أو لقبا أو صفة .. إلخ . إن أحب الأسماء إلى الإنسان يختلف من خص إلى آخر ، ومن مكان إلى آخر . وفقا للعادات و التقاليد و الأعراف . فأحيانا تكون الكنية هي أحب السماء و أحيانا يكون الاسم المجرد أحب الأسماء وأحيانا يكون اللقب أو الصفة أو غيرها أحب الأسماء إلى الشخص كما أن قيمة بعض الأسماء و الصفات و معناها بين الناس يختلف من مجتمع إلى آخر ، فمثلا كلمة " شيخ "تعتبر مدحا وثناء وتقديرا في كثير من المجتمعات الإسلامية ، ولكنها في بعض المجتمعات - وإن كانت قليلة - تعتبر تيمة و مذمة.

و كذلك فإن مناداة الرجال ، وخاصة كبار السن منهم بأسمائهم المجردة يعتبر إهانة في بعض المجتمعات ، إذ لا بد أن تكنيهم أو أن تسبق أسماءهم المجردة ببعض الألقاب و الصفات ، كأن تقول " شيخ "أو " الوالد " أو " العم... "إلخ ، ولكن في المقابل فإن ذكر الاسم المجرد في بلاد أخري لا يعني احتقارا لهم ولا انتقاصا من مكانتهم وقدرهم.

لذا ينبغي للمرء أن يعرف عادات الناس و أعرافهم ، وأن يسعى للتعرف على أحب الأسماء لمن يتعامل معهم و يعاشرهم ويود كسب قلوبهم ، فإنه باب من أبواب غرس المحبة في نفوس الآخرين ، وهو مفاتيح القلوب.

obeikandl.com

١٤

ولك في خفة الظل مندوحة

رغم أهمية الجد في حياة الإنسان ، إلا أنه يحتاج إلى فترات يرفه فيها عن نفسه ، ويجدد فيها نشاطه ، ويزيل بها الملل و السأم عن حياته ، إن الإنسان جبل على حب الترفيه و الترويح ، ومن هنا يحسن بمن يود كسب قلوب الناس أن يتعامل معهم بما يتناسب و فطرتهم ، فيدخل الترويح و النكتة و الابتسامة و الطرفة في تعامله مع الآخرين.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمازح أصحابه و يدخل السرور في قلوبهم ، فقد روي الإمام الترمذي عن الحسن رضي الله عنه قال : أتت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها " : لا يدخل الجنة عجوز " فبكت ، فقال " : إنك لست بعجوز يومئذ ، قال الله تعالى " : إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ".

وقال زيد بن أسلم : إن امرأة يقال لها أم أيمن جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إن زوجي يدعوك ، قال " : ومن هو ، أهو الذي بعينه بياض ؟ "قالت : و الله ما بعينه بياض ! فقال " : بلى إن بعينه بياضا " فقالت " : لا والله ، فقال صلى الله عليه وسلم " : ما من احد إلا و بعينيه بياض ، وأراد به البياض المحيط بالحدقة.

و جاءت امرأة أخرى فقالت : يا رسول الله احملني على بعير ، فقال ": بل نحملك على ابن البعير " فقالت : ما أصنع به ، إنه لا يحملني فقال صلى الله عليه وسلم " : ما من بعير إلا و هو ابن بعير."

وقال أنس رضي الله عنه : طان لأبي طلحة ابن يقال له أبو عمير و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهم ويقول " : يا أبا عمير ما فعل النغير."

وقالت عائشة رضي الله عنها : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر ، فقال " : تعالى حتى أسابقك " فشددت درعي على بطني ، ثم خططنا خطا فقمنا عليه ، واستبقنا فسبقني ، وقال " : هذه مكان ذي المجاز " و ذلك أنه جاء يوما و نحن بذي المجاز ، وأنا جارية قد بعثني أبي بشيء فقال " : أعطينيه " فأبيت ، وسعيت و سعى في أثري ، فلم يدركني . وقالت عائشة أيضا : سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته ، فلما حملت اللحم سابقني فسبقني ، وقال " : هذه بتلك."

و قالت عائشة رضي الله عنها " : كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة ، فصنعت حريرة و جئت بها فقلت لسودة : كلى ، فقالت : لا أحبه ، فقلت : و الله لتأكلن أو لألطخن به وجهك ، فقالت : ما أنا بذائقته ، فأخذت بيدي من الصحفة شيئا فلطخت به و جهها ، ورسول الله صلى الله عليه

وسلم جالس بيني و بينها ، فخفض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتيه لتستقيد مني ، فتناولت من الصحفة شيئا فمسحت به وجهي ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك."

وروي علقمة عن أبي سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدلع لسانه للحسن بن على عليه السلام ، فيري الصبي لسانه فهش له ، فقال له عيينه بن بدر الفزاري : والله ليكونن لي الابن قد تزوج وبقل وجهه و ما قبلته قط ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم " : إن من لا يرحم لا يرحم."

وروي الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الأقرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن فقال " : إن بي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم ، فقال رسول الله " : من لا يرحم لا يرحم."

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة لصهيب ، وبه رمد ، وهو يأكل تمرا " : أتأكل التمر وأنت رمد ؟ فقال : إنما آكل بالشق الآخر يا رسول الله ، فتبسم صلى الله عليه وسلم ، قال بعض الرواة حتى نظرت إلى نواجذه.

وروي أن خوات بن جبير الأنصاري كان جالسا إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة ، فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال " : يا أبا عبد الله ما لك مع النسوة ؟ " فقال : يفتلن ضفيرا لجمل لي رود ، قال : فمضي رسول الله صلى الله عليه وسلم

لحاجته ، ثم عاد فقال : يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد ، قال : فسكت واستحييت ، وكنت بعد ذلك أتفرر منه كلما رأيته حياء منه ، حتى قدمت المدينة ، وبعدما قدمت المدينة رأني في المسجد يوما أصلى فجلس إلي فطولت ، فقال " : لا تطول فإني أنتظرك " ، فلما سلمت قال " : يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الراد بعد ؟ فسكت واستحييت فقام ، وكنت بعد ذلك أتفرر منه حتى لحقني يوما وهو على حمار ، وقد جعل رجليه في شق واحد ، فقال " : يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الراد بعد ؟ فقلت : والذي بعثك بالحق ما شرد منذ أسلمت فقال " : الله اكبر ، الله أكبر ، اللهم اهد أبا عبد الله " قال : فحسن إسلامه و هداه الله.

"ويروى أن نعيمان الأنصاري كان رجلا مزاحا ، وكان يشرب الخمر في المدينة ، فيؤتي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعله ، ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم ، فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة : لعنك الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم " :لا تفعل ، فإنه يحب الله ورسوله ." و كان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة إلا اشترى منها ، ثم يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيقول :يا رسول الله هذا قد اشتريته لك ، وأهديته لك ، فإذا جاء صاحبها يتقاضاه بالثمن جاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ك يا رسول الله أعطه ثمن متاعه ، فيقول له الرسول صلي الله عليه وسلم " : أو لم تهده لنا " فيقول : يا رسول الله إنه لم يكن عندي

ثمنه ، وأحببت أن تأكل منه ، فيضحك النبي صلي الله عليه وسلم، ويأمر لصاحبه بثمنه."

وروي عن نعيمان الأنصاري أيضا انه مر يوما بمخرمة بن نوفل الزهري وهو ضرير ، فقال مخرمة لنعيمان : قدني حتى أبول ، فأخذ نعيمان بيده حتى أتي به إلى المسجد ، فأجلسه في مؤخره ، فصاح به الناس : إنك في المسجد . فقال مخرمة : من قادني ، قالوا: نعيمان ، قال : لله على نذر أن أضربه بعصاي هذه إن وجدته ، فبلغ ذلك نعيمان فجاء إليه ، وقال له : يا أبا المنور هل لك في نعيمان ، فقال : نعم ، قال : ها هو ذا قائم يصلى ، وأخذ بيده و جاء به إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو يصلى ، وقال : هذا نعيمان ، فعلاه بعصاه ، فصاح الناس : أمير المؤمنين ، فقال : من قادني ، قالوا : نعيمان ، فقال : و الله لا تعرضت له بسوء بعدها.

و كان عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يمازح مولاة له فيقول لها : خلقني خالق الكرام ، وخلقك خالق اللئام ، فتغضب و تصيح و تبكي ، ويضحك عبد الله.

وسئل النخعي رحمه الله تعالى ، هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون ؟ قال : نعم ، والإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجارية له : خلقني خالق الخير ، وخلقك خالق الشر ، فبكت الجارية ، فقال عمر : لا بأس عليك فإن الله خالق الخير و الشر.

وقال عطاء بن السائب : كان سعيد بن جبير يقص علينا حتى يبكينا ، وربما لم يقم حتى يضحكنا.

و من الذين مارسوا المزاح ، رغم علمهم و هيبتهم ، عامر الشعبي ، وهو أبو عمرو عامر بن شراحيل الكوفي ، كان من كبار التابعين وجلتهم ، وكان فقيها شاعرا ، وهو ثقة ، روي له أصحاب الكتب الستة ، واستقضاه عمر بن عبد العزيز . سأل رجل الشعبي عن المسح على اللحية ، فقال : خللها ، فقال الرجل : أتخوف أن لا نبلها ، فقال الشعبي : إن تخوفت فانقعها من أول الليل.

وسأل رجل العبي فقال : هل يجوز للمحرم أن يحك بدنه ؟ قال الشعبي : نعم ، فقال الرجل : مقدار كم ؟ قال : حتى يبدو العظم.

ولقى رجل الشعبي وهو واقف مع امرأة يكلمها ، فقال الرجل : أيكما الشعبي ؟ فأومأ الشعبي إلى المرأة و قال : هذه.

وجاء رجل إلى الشعبي فقال : إني تزوجت امرأة فوجدتها عرجاء، فهل لي أن أردها ؟ فقال له : إن كنت تريد أن تسابق بها فردها.

١٥

من كثر مزحه استخف به

رغم أهمية المزاح ، وحاجة الناس إلى الترويح ، وحبهم وتقديرهم لأصحاب النفوس المرحة ، إلا أنه من المهم الاعتدال و التوسط فيه ، فلا إفراط ولا تفريط.

إن كثرة المزاح و المداومة عليه تقسي القلب ، وتذهب الهيبة ، وتحط من قيمة الإنسان ، وتجعله مجالا للسخرية و الاستخفاف من قبل الآخرين ، كما أنها توقعه في الزلل و الخطأ و كثرة الهفوات، لذا ينبغي الحذر من التمادي في المزاح و الإسراف في الترفيه و الضحك.

و قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه " : من كثر ضحكه قلت هيبته و من مزح استخف به ومن أكبر من شيء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قل حياؤه ، و من قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه."

و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ولكن كان مزاحه معتدلا متزنا ، لذلك روي الإمام الترمذي في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " : إني لأمزح ولا أقول إلا حقا."لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قادرا على أن يمزح ولا يقول إلا حقا ، وأما كثير من الناس فإنهم لا يستطيعون ذلك ،

حيث أنهم إذا فتح لهم باب المزاح فإنهم يمازحون و غرضهم أن يضحكوا الناس كيفما كان ، وقد روي البخاري و مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " : إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي في النار أبعد من الثريا."

ولأن كثرة الضحك تدل على الغفلة عن الآخرة قال صلى الله عليه وسلم " : لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا."

وقال رجل لأخيه : يا أخي هل أتاك أنك وارد النار ؟ قال : نعم ، قال : فهل أتاك أنك خارج منها ؟ قال : لا ، قال : ففيم الضحك ؟ قيل : فما رؤي ضاحكا حتى مات.

وقال يوسف بن أسباط " : أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك . " وقيل " أقام عطاء السلمي أربعين سنة لم يضحك ." ونظر وهيب بن الورد إلى قوم يضحكون في عيد الفطر فقال : إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين ؟ وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين ؟.

و كان عبد الله بن أبي يعلى يقول " : أتضحك ، ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار ؟ " وقال ابن عباس رضي الله عنه " : من أذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي."

و قال محمد بن واسع : إذا رأيت في الجنة رجلا يبكي ، ألست تعجب من بكائه ؟ قيل : بلى ، قال : فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو اعجب منه."

هذه آفة الضحك ، والمذموم منه الاستغراق في الضحك و التمادي فيه و القهقهة ، والمحمود منه التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع له صوت مرتفع ، وكذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روي الإمام أحمد و غيره.

وأما أداء المزاح إلى سقوط الوقار فقد قال محمد بن المنكدر : "قالت لي أمي يا بني لا تمازح الصبيان فتهون عندهم . " وقال سعيد بن العاص لابنه " : يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ، ولا الدنيء فيجترىء عليك."

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه " : اتقوا الله وإياكم و المزاح ، فإنه يورث الضغينة ، ويجر إلى القبيح ، تحدثوا بالقرآن و تجالسوا به ، فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال."

وقال عمر رضي الله عنه " : أتدرون لم سمي المزاح مزاحا ؟ " قالوا : لا ، قال " : لأنه أزاح صاحبه عن الحق." وقيل " : لكل شيء بذور ، وبذور العداوة المزاح . " ويقال : المزاح مسلبة للنهى مقطعة للأصدقاء.

فإن قلت : قد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكيف ينهى عنه ؟ فالجواب : إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهو أن تمزح ولا تقول إلا حقا ، ولا تؤذي قلبا ، ولا تفرط فيه ، فلا حرج عليك فيه.

ولكن من الخطأ أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة يواظب عليه و يفرط فيه ، ثم يتمسك بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو كمن يدور نهاره مع الزنوج ينظر إليهم وإلى رقصهم ، ويتمسك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لعائشة في النظر إلى رقص الزنوج في يوم عيد ، وهو خطأ لأن من الصغائر ما يصير كبيرة بالإصرار ، ومن المباحات ما يصير صغيرة بالإصرار، فلا ينبغي أن يغفل عن هذا.

روى الترمذي في الحديث الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أنهم قالوا : يا رسول الله إنك تداعبنا ، فقال " : إني وإن داعبتكم لا أقول إلا حقا."

و خلاصة القول ، أن المزاح و الضحك و الترفيه مباح في شريعتنا ، بل هو مطلوب أحيانا لكسب القلوب و الترويح عن النفوس . ولكن الاعتدال و الاتزان ، وعدم الإفراط و التمادي ، وتجنب الإيذاء و السخرية ، والابتعاد عن البذي من القول الفاحش من الكلام ، كل ذلك مطلوب بل ولازم ، ومن تركه فسيجد ما لا يسر ، وصدق المثل الشعبي الذي يقول " : كل شيء إذا زاد عن حده انقلب ضده."

١٦
إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه

عن جابر رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوته ، فدخل عليه أصحابه حتى غص المجلس وامتلأ ، فجاء جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه فلم يجد مكانا ، فقعد على الباب : فلف رسول الله رداءه فألقاه إليه وقال له : اجلس على هذا ، فأخذه جرير ووضعه على وجهه ، وجعل يقبله و يبكي ، ثم لفه ورمى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : ما كنت لأجلس على ثوبك ، أكرمك الله كما أكرمتني ، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا ثم قال " : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه."

إن إنزال الناس منازلهم أمر مطلوب شرعا، والالتزام به من أهم قواعد التعامل مع الآخرين ، إذا لا يمكن أن يتساوى الناس في الدنيا ولا في الآخرة ، فلا يستوى العالم و الجاهل ، ولا المتبع و المبتدع ، ولا الشجاع و الجبان ، ولا الجواد و البخيل ، ولا الصالح و الطالح ، كما لا يمكن أن يتعامل الإنسان مع الحاكم كما يتعامل مع المحكوم.

ولا يعني كلامنا هذا أن يحتقر الإنسان الفقراء و المساكين و الضعفاء ويمجد الأغنياء و السادة و الشرفاء ، فهذا لا يجوز

شرعا، كما تأباه النفوس الأبية ، ويرفضه الكرام من الناس ، الأصل في المسلم أن يحسن تعامله مع الجميع ، وأن يتق الله في الفقراء و المساكين ، فلا يؤذيهم بفعل ، ولا يجرحهم بكلمة ، قال تعالى : " فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ".

إن الله تعالى خلق الناس درجات ، وأنزلهم منازل مختلفة ، وذلك ليبتليهم و يختبرهم و ليخدم بعضهم بعضا ، وهذه سنة كونية لا تستقيم الحياة بغيرها ، وقد قال تعالى " وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ " . ويقول الإمام بن كثير رحمه الله مفسرا قوله تعالى " ورفع بعضكم فوق بعض درجات" ، أي فاوت بينكم في الأرزاق و الأخلاق و المحاسن و المساوىء و المناظر و الأشكال و الألوان ، وله الحكمة في ذلك.

ويقول الله تعالى " وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ " قال ابن كثير مفسرا هذه الآية " : إنه – أي الله تعالى – قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال و الأرزاق و العقول و الفهوم و غير ذلك من القوى الظاهرة و الباطنة .. وقوله جلت

عظمته " ليتخذ بعضهم بعضا سخريا" قيل : معناه ليسخر بعضهم بعضا في العمال لاحتياج هذا إلى هذا ، وهذا إلى هذا ، قاله السدي و غيره ، وقال قتاده و الضحاك : ليملك بعضهم بعضا وهو راجع إلى الأول."

وبما أن الله خلق الناس درجات ومنازل ، فإن من الحكمة أن يكون التعامل مع كل فئة بما يناسبها ، مع مراعاة أن يتجنب الإنسان الإساءة لأحد أو احتقاره . ومن هذا المنطلق ينبغي أن يكرم الكريم ، وأن يوقر العالم ، وأن يجل الشيخ الكبير ، وأن يحترم الوجيه ، وأن يقدر الحاكم العادل.

روى أبو داود عن أبي موسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط."

وروى أبو داود و الترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال " : ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف شرف كبيرنا."

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه." وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن شهاب بن عباد أنه سمع وفد عبد القيس وهم يقولون : قدمنا على رسول

الله صلى الله عليه وسلم فاشتد فرحهم ، فلما انتهينا إلى القوم أوسعوا لنا فقعدنا ، فرحب بنا النبي صلى الله عليه وسلم ودعانا ثم نظر إلينا فقال : من سيدكم ؟ فأشرنا جميعا إلى المنذر بن عائذ، فلما دنا منه المنذر أوسع القوم له حتى انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقعد عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحب به وألطفه ، وسأله عن بلادهم.

وروى الشيخان : أن سعد بن معاذ سيد الأوس لما دنا من المسجد قال النبي صلى الله عليه وسلم – بعد أن أسلم أبو سفيان –وقال : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا ، وقال عليه الصلاة و السلام : نعم ، وأمر صلى الله عليه وسلم فنادى مناديه " : من دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن اغلق عليه بابه فهو آمن."

وقد أكرم الرسول صلى الله عليه وسلم من ارتفعت هممهم وسمت نفوسهم ، فقد أخرج الطبراني بسند جيد أن عثمان بن أبي العاص قال " : قدمت في وفد ثقيف حين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : من يمسك لنا رواحلنا ؟ فكل القوم أحب الدخول على النبي صلى الله عليه وسلم وكره التخلف عنه . قال عثمان : وكنت أصغرهم فقلت : إن شئتم أمسكت لكن على أن عليكم عهد الله لتمسكن لي إذا خرجتم قالوا : فذلك لك ، فدخلوا عليه ثم خرجوا فقالوا : انطلق بنا ، قلت : أين ؟ قالوا : إلى

أهلك !! فقلت : خرجت من أهلي حتى إذا حللت بباب النبي صلى الله عليه وسلم أرجع ولا أدخل عليه ، وقد أعطيتموني ما قد علمتم ؟ !! ويذكرهم بالعهد ، قالوا : فأعجل إنا قد كفيناك المسألة ، فلم ندع شيئا إلا سألناه ، يقول عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يفقهني في الدين ويعلمني !! قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : ماذا قلت ؟ "قال عثمان : فأعدت عليه القول ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد من أصحابك ، اذهب فأنت أمير عليهم و على من يقدم عليك من قومك."

وتجدر الإشارة هنا إلى أمر هام ، وهو أن هذا التكريم والاحترام وذلك التقدير و الإجلال ، إنما يكون لأهل الصلاح و الطاعة من الكرماء و الوجهاء و السادة أما أعداء الله و المجرمون و الطغاة – لا سيما الذين لا تخشى بطشهم ولم تخطط لدعوتهم – فأولئك لا كرامة لهم ولا إجلال ولا احترام ولا تقدير ، إذا لا كرامة لمن لم يكرمه الله ، ولا إجلال لمن لم يجله الله ، وقد قال تعالى : " يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ." وقال تعالى : " إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ".

ولكن نود أن نقول مرة أخرى أن عدم إجلال هؤلاء لا يعني الإساءة إليهم أو إغلاظ القول لهم ، إذا أن حسن الخلق أهم صفات من يود التأثير على الآخرين و كسب قلوبهم.

obeikandl.com

١٧
تهادوا تحابوا

روى الإمام الترمذي أن رسول الله قال " : تهادوا ، فإن الهدية تذهب وحر الصدور " ، أي تذهب وسواسه و حقده و غشه و بغضه للأخرين . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "تهادوا تحابوا."

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية و يثيب عليها ، وكان يدعو إلى قبولها و يرغب فيها . أخرج الإمام أحمد من حديث خالد بن عدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " : من جاءه من أخيه معروف من غير إشراف) أي تطلع (ولا مسألة فليقبله ولا يرده ، فإنما هو رزق ساقه الله إليه."

وقد حض الرسول صلى الله عليه وسلم على قبول الهدية ولو كانت شيئا حقيرا ، ولذا رأي العلماء كراهية ردها حيث لا يوجد مانع شرعي ، فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : لو أهدي إلى كراع لقبلت ، ولو دعيت عليه لأجبت."

وقد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية الكفار ، فقبل هدية كسرى ، وهدية قيصر ، وهدية المقوقس ، كما اهدى هو

الكفار الهدايا و الهبات . أما ما رواه أحمد وأبو داود و الترمذي أن عياضا أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم هدية فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أسلمت ؟ قال : لا ، قال " : إني نهيت عن زبد المشركين " أي عن عطاء المشركين ، فقد قال فيه الخطابي " : يشبه أن يكون هذا الحديث منسوخا لأنه صلى الله عليه وسلم قد قبل هدية غير واحد من المشركين."

وقال الإمام الشوكاني " : وقد أورد البخاري في صحيحه حديثا استنبط منه جواز قبول هدية الوثني ، ذكره في باب قبول الهدية من المشركين من كتاب الهبة و الهدية."

مما سبق يتضح لنا أهمية الهدية في التأليف بين القلوب ، وفي تعميق أواصر المحبة و المودة بين المسلمين . كما أن للهدية أهمية بالغة في جذب غير المسلمين إلى الإسلام ، كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع صفوان بن أمية حينما أعطاه واديان من إبل و غنم ، فأسلم صفوان وحسن إسلامه ، ثم سخر كل ما يملك لخدمة الإسلام . روى الإمام الطبري عن صفوان بن أمية قال : لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه لأبغض الناس إلى ، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي."

إنها الوصية النبوية التي نبعث ممن خبر الناس وعلم سبل التأثير فيهم ، لذا لا يليق بالمسلم أن يغفل هذه الوصية أو يتجاهلها

فإن فيها خيرا كثيرا ، ومن لم يصدق فليجرب ثم ليحكم بعد ذلك على صدق ما نقول.

ويحسن بنا و نحن نتكلم عن الهدية أن نتناول بعض الأمور المتعلقة بالهدية ، ومن أهمها ما يلي:

- ينبغي للمسلم أن يخلص نيته لله تعالى عندما يهدي الآخرين ، حتى لا يذهب عمله هباء منثورا ، و "إنما الأعمال بالنيات "ولا خير في عمل لا ترافقه نية صالحة.
- يحسن بالمسلم أن يدعو الله تعالى أن يبارك في هديته وأن يجعلها مفتاحا لقلوب الآخرين.
- ينبغي أن تتناسب الهدية – حتى ولو كانت رمزية – مع المهدى إليه ، فهدية الصغير تختلف عن هدية الكبير ، وهدية الرجل تختلف عن هدية المرأة ، وهدية الغني تختلف عن هدية الفقير ، وهدية العالم تختلف عن هدية الجاهل ، و هكذا.
- إن المطالبة بأن تتناسب الهدية مع المهدى إليه لا يعني أن يتحمل الإنسان ما لا يطيق ، ولا أن يعطي الأغنياء هدية ثمينة لا يملك قيمتها ، فالجود من الموجود ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، فعلى الإنسان أن يهدي ما يستطيع ويقدر عليه و يجتهد بعد ذلك أن تكون هذه الهدية مناسبة للمهدي إليه.
- يجب أن لا تكون الهدية عبارة عن رشوة ، فلا يجوز أن يقدم الموظف إلى رئيسه هدية من أجل ترقية أو عرض من الدنيا

قليل ، ولا يجوز للمراجع و صاحب الحاجة أن يعطي الموظف الذي يقوم بمتابعة معاملته هدية من أجل سرعة إنجازها أو للتحايل على القانون ، وهكذا . إن الرشوة مال حرام لا تجوز ، و الهدية أمر شرعه الله ورسوله ، وشتان بين الأمرين.

- ينبغي أن يتم اختيار الوقت المناسب لتقديم الهدية لا سيما في المناسبات المفرحة : كالزواج ، والشفاء من الأمراض ، و الحصول على الترقيات ، و الانتقال إلى مسكن جديد ، و الرزق بمولود جديد، والرجوع من السفر... إلخ.
- أن تقدم الهدية بنفس طيبة وبوجه طلق ، فلا قيمة للهدية إن رافقها وجه عبوس ونفس خبيثة ولسان بذيء.
- يحسن أن يكون المظهر الخارجي للهدية مقبولا .كأن تغلف الهدية بغلاف حسن و يكتب عليها كلمة فيها تهنئة و دعاء ، وذلك لما في هذه الأمور الشكلية من تأثير طيب في نفوس الناس.
- يستحب المكافأة على الهدية وإن كانت من أعلى لأدنى ، لما رواه البخاري وأحمد و أبو داود و الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت " : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية و يثيب عليها " أي يعطي المهدي بدلها ، وأقله ما يساوي قيمة الهدية . وإنما كان يفعل ذلك ليقابل الجميل بمثله ، وحتى لا يكون لأحد عليه منة . وقال الخطابي " : من العلماء من جعل أمر الناس في الهدية على ثلاث طبقات:

- هبة الرجل من دونه كالخادم ونحوه ، إكرام له وإلطاف ، وذلك غير مقتض ثوابا.
- هبة الصغير للكبير : طلب رفد و منفعة ، و الثواب فيها واجب.
- هبة النظر لنظيره : الغالب فيها معنى التودد و التقرب ، وقد قيل أن فيها ثوابا ، فأما إذا وهب هبة واشترط فيها الثواب فهو لازم.
- يستحب كذلك شكر المهدي و الثناء عليه و الدعاء له ، فقد روي الإمام احمد و الترمذي بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : من لم يشكر الناس لم يشكر الله ."وروي أبو داود و الترمذي عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ": من أعطى عطاء فوجد) أي سعة من المال (فليجزيه ، ومن لم يجد فليثن ، فإن من أنثى فقد شكر ، ومن كتم فقد كفر ، ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور ."وروي الإمام الترمذي بإسناد جيد عن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ": من صنع إليه معروف فقال لفاعله : جزاك الله خيرا ، فقد أبلغ من الثناء ." وروي الترمذي بإسناد صحيح عن أنس رضي الله عنه قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه المهاجرون فقالوا : يا رسول الله ما رأينا قوما أبذل من كثير - أي من

مال- ولا أحسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم ، لقد كفونا المؤونة ، وأشركونا في المهنأ - أي ما يقوم بالكفاية وإصلاح المعيشة- حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم " : لا . ما دعوتم لهم وأثنيتم عليهم."

• يحسن بالمرء أن لا يرد الهدية التي لا رشوة فيها ولا شبهة تلحقها ولا سوء يشوبها ، لا سيما إذا جاءت هذه الهدية من الأقربين أو من الفقراء و المساكين أو من ممن تطمع في كسب قلوبهم ودعوتهم إلى الله تعالى ، فإن رد الهدية فيه إساءة كبيرة إلى المهدى.

• من الهدايا التي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ترد اللبن و الطيب و الريحان ، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : ثلاث لا ترد : الوسائد و الدهن) أي الطيب (و اللبن .(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : من عرض عليه ريحان فلا يرده لأنه خفيف المحمل طيب الريح."

openkandil.com

١٨
حاول أن تنسى

إن مصائب الدنيا كثيرة و همومها عديدة ، ولا يكاد الإنسان يصحو من هم أو ينجو من مصيبة حتى يبتلى بأخرى وفي ذلك يقول المتنبي:

نعد المشرفية و العوالي وتقتلنا المنون بلا قتال
رماني الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتني سهام تكسرت النصال على النصال
وهان فما أبالى بالرزايا لأني ما انتفعت بأن أبالى
يدفن بعضنا بعضا و تمشي أواخرنا على هام الأوالي

والمصائب أنواع منوعة وألوان ملونة ، فقد يبتلى الإنسان بفقد صاحب ، أو مرض صديق ، أو إساءة قريب ، أو نكران جميل، أو غيرها . ولو بقيت هذه الرزايا و الآلام في قلوب الناس وذاكرتهم لكان ذلك بلاء عظيما ، إذا يجتمع هم على هم ، و تتراكم مصيبة على مصيبة ، فتعظم البلوى ، وتشتد الأزمة ، و تسوء العاقبة ، ولا يسلم منها إلا من يسلمه الله تعالى.

لذا من فضل الله على عباده أن رزقهم نعمة النسيان ، فينسى الإنسان إساءة المسيئين ، وجفوة الجافين . ويجمل الخلق ببعضهم ويسمو ليصل إلى أمر أعظم من النسيان وهو الصفح و الغفران.

إن نعمة النسيان نعمة عظيمة ، فمن أراد راحة البال و حسن العاقبة و المآل فليحاول أن ينسى ما يلقاه من الآخرين، أو ما يبتلى به من مصائب الدنيا ، وليبدأ صفحة جديدة مع إخوانه الذين قصروا في حقه ، فإن ذلك من علو النفس وسمو الهمة . إنك إن فعلت ذلك فسترى كيف يلتف حولك الناس لأنهم يعلمون أن هذه هي أخلاق العظماء الصالحين.

ولكن ينبغي الإشارة إلى أن محاولة نسيان الماضي وعدم تذكر المآسي لا يعني بأي حال أن لا يتعظ الإنسان من الحوادث ولا يستفيد من التجارب ، فلا يجوز أن يكون اتعاظ الإنسان لحظيا مؤقتا ، كما قال جرير:

تروعـنا الجنـائز مقبلات ونلهوا حين تذهب مدبرات
كروعة هجمت لمغار ذئب فلما غـاب عـادت راتعات

نحن لا ندعو إلى الغفلة ، ولا نريد أن يحق علينا قول الله تعالى" وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ " . إن الذي

ندعو إليه هو أن لا تبقى الذكريات السوداء المظلمة عالقة في الذهن تفسد على الإنسان حياته و علاقته مع الآخرين.

obeikandl.com

١٩
تشبث بشعرة معاوية

ونقصد بها أن يتعامل الإنسان مع الآخرين بشيء من المرونة و الحكمة بحيث يشد تارة و يرخى تارة أخرى ، ويكر تارة و يفر أخرى ، ويهجم تارة و يدافع تارة أخرى ، متبعا في ذلك الحكمة التي رويت عن معاوية رضي الله عنه " : لو كان بيني وبين خصومي مقدار شعرة ما انقطعت أبدا ، فإن هم شدوا أرخيت ، وإن هم أرخوا شددت . " ولقد اشتهر العرب و المسلمون باستخدام هذه القاعدة في حروبهم مع أعدائهم.

إن الإنسان الذكي الفطن هو الذي لا يقطع علاقته مع الآخرين ، بل يبقي له معهم خط رجعة بحيث لو أراد توطيد العلاقة معهم في المستقبل لاستطاع لأنه ترك لنفسه فرصة لذلك.

لذا نوصي بالمحافظة على شعرة معاوية لأنك ستحتاجها يوما من الأيام ، و الغيب علمه عند الله ، ولكن الحوادث تنبئنا أن الإنسان لا يستطيع الاستغناء عن الآخرين ، فكم من غني احتاج إلى فقير ، وكم من قوي استجار بضعيف ، وكم من وجيه لجأ إلى من دونه ، وهكذا الأيام كما قال الشاعر:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول من سرّه زمــن ساءتــه أزمان

obeikandl.com

٢٠
قدر الآباء تستحوذ على قلوب الأبناء

إنه الكسب غير المباشر ، فإذا أردت الاستحواذ على محبة بعض الناس وشق عليك ذلك ، فانظر إلى آبائهم ، فإن كانوا أحياء فبادر بالتعرف عليهم و تقديرهم واحترامهم حتى تكسب قلوبهم ، وسوف تجد الطريق بعد ذلك معبد إلى درجة كبيرة للوصول إلى قلوب الأبناء.

إن الإنسان يعتبر كرامة والديه كرامة له ، فإن أكرم والداه فكأنما قد أكرم هو ، وإن أهين والداه اعتبر إهانتهم إهانة له.

وكم يفرح الإنسان السوي عندما يجد بعض الناس يقدرون والده ، ويقلبونه على رأسه ، ويوسعون له الطريق ، ويفسحون له المجلس ، وينصتون إلى حديثه بأدب ، ولا يرفعون أصواتهم فوق صوته ، وينادونه بأحب الأسماء إليه ، و يكرمون بزيارة أو بهدية ..إلخ.

إنه أسلوب مجرب ، وأمر شائع مألوف ، فإن أحببت أن تطمئن فجرب وسوف ترى.

٢١
كن قادرا على قول" لا"

إن قضاء حاجات الناس ، وتلبية مطالبهم ، و مجاملتهم في المواقف و المناسبات ، وحسن ضيافتهم ، كلها أمور مطلوبة ممن يريد أن يتقن فن التعامل مع الآخرين ، ولكن لكل شيء حدود لا ينبغي تجاوزها ، لأن الشيء إذا زاد عن حده انقلب ضده.

إن بعض الناس يحملون أنفسهم فوق ما يطيقون ، بل يضيعون بعض الحقوق و يفرطون في بعض الواجبات و المهام بسبب عدم قدرتهم على الاعتذار ، فلا يعرف أحدهم إلا كلمة " نعم "ورغم أهمية كلمة " نعم "وفضلها إلا أنها عندما لا تكون في موضعها المناسب وفي وقتها الصحيح فإنها تكون وبالا على صاحبها ، وستوقعه في حرج شديد.

والأجدر بالإنسان أن لا يحمل نفسه فوق ما يطيق ، فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، كما أن عليه أن يدرك فقه الأولويات فلا يقدم المهم على الأهم ، ولا المفضول على الفاضل ، ولا الفرع على الأصل . هذا بالإضافة إلى أنه مطالب أن يعط كل ذي حق حقه، فلا يتمادى في أداء بعض الحقوق على حساب حقوق أخرى.

ونظرا لأن وقت الإنسان محدود ، وقدراته و طاقاته وإمكاناته أيضا محدودة ، لذلك فإنه سيضطر ، لا محالة ، إلى قبول بعض

الأعمال و المهام و الاعتذار عن أعمال ومهام أخرى .ومن هنا فلا بد أن يحسن الإنسان الاعتذار ، وأن يتقن قول " لا "عندما يحتاج إلى قولها.

بعض الناس يطلب من أحدهم أن يكتب بحثا فيكون جوابه : "نعم "ثم يطلب منه في نفس الوقت أن يلقي محاضرة فيكون جوابه ": نعم "ثم يرجوه عدد من أقاربه وأصحابه أن يزورهم فيكون جوابه ": نعم "ويأتيه آخرون يسألونه بعض المال وهو لا يملكه فيكون جوابه " : نعم "ويطلب منه آخرون أن يسعى في حاجاتهم التي تستغرق وقتا جهدا كبيرين فيكون جوابه ": نعم " وهكذا كلما كلف بعمل سئل أو طلب منه إنجاز مهمة فإنه يقبلها استحياء وخجلا الآخرين.

إن النتيجة المتوقعة أن هذا الشخص سيحمل نفسه من الأعمال ما سوف يعجز عن أدائها ، وأن أداها فإنه سيؤديها دون إتقان ، وهذا بالإضافة إلى أنه ربما يضيع حقوق دعوته و نفسه وأهل بيته و جيرانه ومن له حق عليه.

ويعظم الأمر عندما تكون لهذا الشخص علاقات واسعة داخل و خارج بلاده ، فيضطر أن يجامل الجميع بدعوتهم إلى الولائم و الحفلات و التي ربما يدور في دوامتها فيقضي وقته ما بين إعداد لها و توفير لمتطلباتها واستقبال لضيوفها.

إننا بحاجة إلى وقفة تأمل متأنية تجاه هذه القضية ، خاصة من قبل أصحاب الدعوات و المبادئ ، وممن وفقهم الله ليكونوا رجال عامة ، ومن كل من يحتاج الوقت لإنجاز مهام أخرى ربما لا تكون واضحة للعيان.

ولا شك أن الأمر قد يحار عنده اللبيب ، إذ يقع الإنسان في حرج شديد ما بين الناس و طلباتهم التي لا تنتهي و ما بين الحاجات و المهام الأخرى.

وفي الحقيقة ، ربما يقع المرء بين أمرين أحلاهما مر ، أما الأمر الأول فهو أنه إن لم يجامل الناس ولم يقض حاجاتهم فلربما فهو أنه إن لم يجامل الناس ولم يقض حاجاتهم فلربما ساءت العلاقة معهم ، وربما كانت الحاجة ضرورية و التقصير فيها يؤدي إلى ضرر كبير ، هذا بالإضافة إلى تأنيب الضمير الذي يصاب به أصحاب القلوب الحية و العواطف الجياشة ، ناهيك عن الأجر و الثواب الذي قد يحرمه المسلم إن تساهل في الاعتذار و تقاعس عن تفريج الكربات وإعانة ذوي الحاجات.

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربه فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة " وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم " من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا و الآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا و الآخرة، و الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه."

أما الأمر الثاني ، فهو أن المرء لو قام بتلبية كل ما يريده الآخرون فإنه لن يستطيع ، ولن يجد الوقت الكافي لذلك ، سيكون ذلك على حساب إتقانه للعمل ، وكذلك على حساب صحته وراحته و نفسيته ، وأخيرا على حساب حقوق الآخرين.

إنه لابد من فض الاشتباك في هذا الأمر ، بمعنى متى يقدم الإنسان ومتى يتراجع ؟ متى يوافق و متى يعتذر ؟ متى يقول " نعم "و متى يقول" لا "؟ يبدو أن هناك بعض الضوابط التي لو أدركها الإنسان و عمل بها فإنها ستعينه على الإجابة عن هذه التساؤلات ، وهذه الضوابط هي:

- الصل في المرء أن يكون إيجابيا مقداما لا سلبيا متخاذلا ، فهو يكثر من قول " نعم "وبمعني آخر أن الاعتذار و الرفض هو آخر الدواء ، وأن كلمة " لا "هي استثناء وليست أصلا.

فلا ينبغي للإنسان أن تكون عنده هواية جمع اللاءات وقولها ، ولا يليق به التساهل في الاعتذار و التقاعس بلا سبب وجيه ، فإن ذلك ليس من شيم الكرام ولا من أخلاق أصحاب الهمم العالية . أن ذلك مدخل خطير وخفي من مداخل إبليس ، إذ يزين الشيطان

للإنسان التقاعس و يلقي فيه روعة عدم المقدرة ، ويضخم أعباءه وانشغالاته ، ويهون عنده الرفض و الاعتذار.

- لا ينبغي للمرء أن يعتذر عن عمل فيه خير إلا بسبب وجيه مقنع ، إذا الأصل في المسلم أن يكون محبا للخير مبادرا إليه.
- على الإنسان أن يعي فقه الأولويات ، فيقدم الأهم على المهم ، والصول على الفروع ، و المهام المتعدية التي تنفع جمع من الناس على المهام اللازمة التي تخص الفرد ، و الحقوق العاجلة التي لا يمكن تأخيرها على الآجلة التي يمكن إرجاؤها ،..... إلخ.
- على المرء أن يحرص على حفظ وقته وتنظيمه ، فكم من الأعمال يعجز الإنسان عن أدائها لا لشيء إلا لأنه أهدر وقته في ما لا فائدة يرجي من ورائها أو لأنه لا يحسن تنظيم وقته . ولذا يحسن أن يدعو المسلم ربه دائما أن يبارك له في وقته . كما نود الإشارة إلى أن البركة في البكور ، وإن كثرة النوم لا تأتي بخير ، وأن كثرة الأكل مدعاة إلى الكسل و الخمول.
- على المسلم أن يحرص على إعطاء كل ذي حق حقه ، وأن يسعى جاهدا لئلا يهدر حقا أو يفرط في واجب.
- ينبغي استيعاب القاعدة التي تقول : لا يكلف الله نفسا إلا وسعها " وكذلك الأخرى التي تقول ": واتقوا الله ما استطعتم " بمعني أن يبذل الإنسان غاية ما يستطيع وأقصى ما يمكنه وهو بعد ذلك معذور غير مؤاخذ إن قال " لا "أو اعتذر.

- يمكن أن يؤجل الإنسان بعض الأعمال ، أو يطلب خيرها إلى الوقت الذي يستطيع فيه إنجازها ، بدلا من رفضها و الاعتذار عن قبولها ، فذلك أولى وأجدر ، وأقرب إلى حسن الخلق ، وأحرى باستمرار المودة و المحبة.
- أن يغلب على الظن قبل قبول العمل أنه بالإمكان إنجازها هذا العمل وإتقانه ، فإن كان الأمر كذلك قبل العمل ، إلا فالأولى الاعتذار أو التأجيل.
- التفويض و الاستعانة بالآخرين من أهم الوسائل المعينة لأداء الواجبات وإنجاز المهام ، والمركزية و الاعتماد على الذات لا يأتيان - في الغالب- بخير وفير ، فالواجبات أكبر من الأوقات.
- على المرء إن اعتذر أو قال" لا "أن يتأدب في قولها ، فلا يقولها و هو غاضب أو بصوت مرتفع أو بصدود منفر ، بل يقولها وهو مبتسم و بأسلوب أخوي مؤدب . كما أن عليه أن يشعر الآخر بأنه متألم لأنه لم يستطيع تلبية ما يريد ، مع ذكر الأسباب و المبررات المقنعة له . وأخيرا يدعو الله له بالتوفيق و التسير ، فإن ذلك أقرب إلى قبول العذر ، واستمرار العلاقة ، وبقاء الود ، وصفاء النفوس.

٢٢

يا بني آدم خذوا زينتكم

من الأخطاء الشائعة عند كثير من الناس أنهم لا يعتنون بمظهرهم الخارجي ، ويعتبرون ذلك من القشور و التوافه ، ولا شك أن هذا الفهم خاطئ وله أضرار كثيرة ، فالإنسان ينظر أول ما ينظر إلى مظهره وشكل وهندام من يتعامل معه ، ولهذا الانطباع الأولى أثره النفسي على طبيعة تعامل الناس مع بعضهم بعضا.

إن التعامل مع الناس عملية شاملة متعددة الجوانب ، فيها عقل يفكر ، ولسان ينطق ، وجوارح تتحرك ، ومظهر يشاهد ، ولابد للإنسان أن ينتبه إلى هذه الجوانب كلها ، وإن أي خلل في أحدها ربما يكون له تأثير سلبي عاجلا أم آجلا.

ويكون المظهر الحسن في نظافة البدن ، وحسن الهندام وطيب الرائحة . ولقد طالب الإسلام المسلمين بذلك كله ، فقال تعالى " يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ".

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " : لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة من كبر ، فقال رجل : يا رسول الله : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه

حسنا ونعله حسنا ، فقال " : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق و غمط الناس."

وروى الإمام مالك رحمه الله عن عطاء بن يسار قال : أتى رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ثائر الرأس و اللحية ، فأشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم كأنه يأمره بإصلاح شعره ، ففعل ثم رجع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ": أليس هذا خيرا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان."

وروى الإمام أبو داود أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال " : من كان له شعر فليكرمه."

وروى أبو داود أيضا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا رأسه أشعث فقال " : أما وجد هذا ما يسكن به شعره ؟."!

وعن البراء رضي الله عنه قال ":كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مربوعا وقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت شيئا أحسن منه قط."

ويروي الإمام الترمذي أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : "إن الله تعالى طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفنيتكم ، ولا تشبهوا باليهود"

ويروي الإمام أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنه قال " : لما خرجت الحرورية - وهم قوم ادعوا ألوهية الإمام علي ابن أبي طالب - أتيت عليا رضي الله عنه فقال : إئت هؤلاء القوم ، فلبست أحسن ما يكون من حلل اليمن ، فلقيتهم ، فقالوا : مرحبا بك يا ابن عباس ، ما هذه الحلة ؟ قلت : ما تعيبون على ! لقد رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل ." بل يروى أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم - وكذلك كان لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما- حلة و عباءة قد جعلها خاصة للقاء الوفود.

obeikandl.com

٢٣
لا تكن كالذبابة

إن من أذم أخلاق المرء وصفاته أن يكون كالذبابة لا تقع لا على القاذورات ، فلا هم له إلا تتبع زلات الناس وتصيد خطائهم والصيد في الماء العكر . ولا شك أنه لا معصوم إلا الأنبياء ولو شاء الإنسان أن يتصيد عيوب كائن من كان لاستطاع أن يحصي العديد من الأخطاء و الزلات ، ولكن هذا الفعل ليس من شيم الكرام وإنما هو من فعل اللئام.

إن الأولى بالعاقل أن يلتفت إلى عيوب نفسه فيتتبعها و يتصيدها و يسعى إلى علاجها و التخلص منها ، وذلك خير له من أن يترك زلاته التى هي كالجبال ثم ينظر زلات الآخرين و عيوبهم.

وقد حذر الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود من هذا المر فقال ": إن أحدكم يبصر القذاة في عين أخيه ، وينسى الجذع في عينه " وفي هذا يقول الإمام الشافعي رحمه الله:

إذا شئت أن تحيا سليما من الأذى وحظك موفور و عرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرىء فكلك عورات و للناس ألسن
وعينك إن أبدت إليك مساويا فصنها وقل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى وفارق ولكن بالتي هي أحسن

إن الذي يتصيد عيوب الآخرين سوف يسلط الله عليه من يتصيد عيوبه ، فيفضحه بين الخلائق ، فالجزاء من جنس العمل وبالكيل الذي تكيل به تكال ، ولا يظلم ربك أحدا ، فليحذر المسلم عقوبة الله تعالى في الدنيا قبل عقوبته في الآخرة.

obeikandl.com

٢٤
الصدق منجاة

كان أبغض خلق إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم هو الكذب ,حيث يروي الإمام أحمد في مسنده عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت" : ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب , ما اطلع على أحد من ذلك بشيء فيخرج من قلبه حتى يعلم أنه قد أحدث توبة ." وروى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال" : يطبع المؤمن على الخلال كلها, إلا على الخيانة والكذب ." وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيكون المؤمن جبانا؟ قال" : نعم , " قيل له: أيكون المؤمن بخيلا؟ قال": نعم , " قيل له : أيكون المؤمن كذابا؟ قال" : لا . "وكلما كانت الكذبة تمس عددا أكبر من الناس وتضر بهم كلما كان إثمها أعظم عند الله ووزرها أشد ، فقد روى الإمام البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " :رأيت الليلة رجلين أتياني.... ، قالا لي : رأيته يشق شدقه فكذاب ، يكذب الكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق ، فيصنع به هكذا إلى يوم القيامة."

إن الإسلام أراد من أتباعه أن يتربوا على الصدق منذ نعومة أظفارهم ، وحث الآباء على غرس هذا المعنى في نفوس أبنائهم و عدم التساهل في ذلك.

ويروى الإمام أبو داود عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال :دعتني أمي يوما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا ، فقالت : تعالى أعطك ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما أردت أن تعطيه ؟ "قالت : أردت أن أعطيه تمرا ، فقال لها " : أما إنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة."

ويروي الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " : من قال لصبي : تعال ، هاك ، ثم لم يعطه فهي كذبة."

يقول الأستاذ محمد الغزالي " : فانظر كيف يعلم الرسول صلي الله عليه وسلم المهات و الآباء أن ينشئوا أولادهم تنشئة يقدسون فيها الصدق ، ويتنزهون على الكذب ، ولو أنه تجاوز عن هذه الأمور و حسبها من التوافه الهينة ، لخشي أن يكبر الأطفال وهم يعتبرون الكذب ذنبا صغيرا ، وهو عند الله عظيم.

وقد مشت الصرامة في تحري الحق ، ورعاية الصدق ، حتى تناولت الشؤون المنزلية الصغيرة ، فعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت : يا رسول الله ، إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه ، لا أشتهيه، يعد ذلك كذبا ؟ قال : إن الكذب يكتب كذبا حتى تكتب الكذيبة كذيبة."

والمرء قد يستسهل الكذب حين يمزح ، حاسبا أن مجال اللهو لا حظر فيه على إخبار أو اختلاق . ولكن الإسلام الذي أباح

الترويح عن القلوب لم يرض وسيلة لذلك إلا في حدود الصدق المحض ، فإن في الحلال مندوحة عن الحرام ، وفي الحق غناء عن الباطل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك منه القوم فيكذب ، ويل له ." وقال صلى الله عليه وسلم " : أنا زعيم بيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا."

وقال صلى الله عليه وسلم ": لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في المزاح و المراء وإن كان صادقا."

و المشاهد أن الناس يطلقون العنان لأخيلتهم في تلفيق الأضاحيك ولا يحسون حرجا في إدارة أحاديث مفتراة على ألسنة خصومهم أو أصدقائهم ليتندروا بها أو يسخروا منهم ، وقد حرم الدين هذا المسلك تحريما تاماً ، إذ الحق أن اللهو بالكذب كثيرا ما ينتهي إلى أحزان و عداوات. و التاجر قد يكذب في بيان سلعته وعرض ثمنها ، و التجارات عندنا تقوم على الطمع البالغ ، البائع يريد الغلو ، و الشاري يريد البخس ، و الأثرة هي التي تسود حركات التبادل في الأسواق و المحال . وقد كره الإسلام هذه المعاملة الجشعة، و ما يشوبها من لغو و مراء.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدق البيعان و بينا بورك لهما في بيعهما ، وإن كذبا و

كتما فعسى أن يربحا ربحا ما ، و يمحق بركة بيعهما ، وفي رواية " : اليمين الفاجرة منفقة للسلعة ممحقة للكسب."

و من المشترين رجال يقبلون على الباعة وهم قليلو الخبرة ، سريعو التصديق لما يقال لهم ، فمن الإيمان ألا تستغل سذاجتهم في كسب مضاعف أو تغطية عيب.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : لا يحل لأمرئ مسلم يبيع سلعة ، يعلم أن بها داء إلا أخبر به."

وعن ابن أبي أوفى : أن رجلا أقام سلعة في السوق فحلف بالله : لقد أعطى بها ما لم يعط – ليوقع فيها رجلا من المسلمين – فنزل قوله تعالى " : إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ".

و الحيف في الشهادة من أشنع الكذب ، فالمسلم لا يبالي – إذا قام بشهادة ما – أن يقرر الحق ولو على أدنى الناس منه وأحبهم إليه ، لا تميل به قرابة ولا عصبية ولا تزيغه رغبة أو رهبة.

وتزكية المرشحين لمجالس الشعب ، أو المناصب العامة ، نوع من الشهادة ، فمن انتخب المغموط في كفايته وأمانته فقد كذب وزور ، ولم يقم بالقسط . والله تبارك و تعالى يقول : " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا

تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ".

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ - ثلاثا – قلنا : بلى ، قال : الاشتراك بالله و عقوق الوالدين ، وقتل النفس ، وكان متكئا فجلس و قال : ألا وقول الزور و هادة الزور " فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت.

إن التزوير كذب كثيف الظلمات ، إنه لا يكتم الحق فحسب ، بل يمحقه ليثبت مكانه الباطل ، وخطره على الأفراد في القضايا الخاصة ، وخطره على الأمم في القضايا العامة شديد مبيد.

و على أصحاب الحرف و الصناعات أن يجعلوا من كلمتهم قانونا مرعي الجانب ، يقفون عنده و يستمسكون به ، فإنه لمن المؤسف أن تكون الوعود المخلفة ، والحدود المائعة عادة مأثورة عن كثير من المسلمين ، مع أن دينهم جعل الوعود الكاذبة أمارة النفاق . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدس الكلمة التي يقول ، ويحترم الكلمة التي يسمع ، وكان ذلك شارة الرجولة الكاملة فيه ، حتى قبل أن يرسل إلى الناس.

وقد يندفع الإنسان إلى الكذب حين يعتذر عن خطأ وقع منه و يحاول التملص من عواقبه ، وهذا فرار من الشر إلى مثله أو أشد منه ، والواجب أن يعترف الإنسان بخطئه ، فلعل صدقه في ذكر

الواقع وألمه عما بدر منه يمسحان هفوته و يغفران زلته . و مهما هجس في النفس من مخاوف – إذا قيل الحق – فالأجدر بالمسلم أن يتشجع وأن يتحرج من لوثات الكذب . انتهى كلام الأستاذ محمد الغزالي.

وروى الإمام البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق و يتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا . وإياكم و الكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال العبد يكذب و يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا."

وأخيرا ، يكفي أن نقول أن الصدق راحة و طمأنينة و سكينة ، وأن الكذب عذاب وهم و ضيق في الدنيا و الآخرة ، فقد روى الإمام الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فإن الصدق طمأنينة و الكذب ريبة." .

٢٥

كيف بموعدي لأبي الهيثم ؟

روى الأمام الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ,أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد أبا الهيثم بن التيهان" أن يعطيه " خادما ,فأتي بثلاثة من السبي فأعطى اثنين وبقي واحد ,فأتت فاطمة رضي الله عنها تطلب منه خادما وتقول : ألا ترى أثر الرحى بيدي؟ فذكر صلى الله عليه وسلم موعده لأبي الهيثم فجعل يقول: "كيف بموعدي لأبي الهيثم؟ . "كم يكون الرجل عظيما في نفوس الآخرين عندما يلتزم بوعده ويحفظ كلمته ,وكم يكون منبوذا , بل وكم يجرح دينه و مروءته ورجولته , عندما يخلف وعده ولا يلتزم بكلمته , يقول الله تعالى : " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ "

وقد أثنى الله تعالى على نبيه إسماعيل عليه السلام قال عنه "إنه كان صادق الوعد" . قيل : إنه وعد إنسانا في موضع فلم يرجع إليه بل نسيء فبقي إسماعيل اثنين وعشرين يوما في انتظاره.

ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال " : إنه كان خطب إلى ابنتي رجل من قريش ، وقد كان إليه منى شبه الوعد ، فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق ! أشهدكم أني قد زوجته ابنتي."

وقيل لإبراهيم : الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء ، قال : ينتظره إلى أن يدخل وقت الصلاة التي تجيء و كان رسول الله صلى

الله عليه وسلم إذا وعدا قال " : عسى . "وكان ابن مسعود لا يعد وعدا إلا ويقول : إن شاء الله.

وإذا وعد الإنسان و كان عند الوعد عازما على أن لا يفي فهذا هو النفاق ، فقد روى البخاري و مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم " : ثلاث من كن فيه فهو منافق ، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان. "وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : أربع من كن فيه كان منافقا ، و من كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من المنافق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر "وهذا ينزل على من عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر ، فأما من عزم على الوفاء فعنّ له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا.

و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين ، فوقف عليه رجل من الناس فقال : إن لي عندك موعدا يا رسول الله ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم " : صدقت ، فاحتكم ما شئت"، فقال : أحتكم ثمانين ضائنة وراعيها قال " : هي لك "وقال " : احتكمت يسيرا."